المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم

الأدب العربي

للصف الأول الثانوي

الفصل الدراسي الثاني



طبعة ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ
٢٠١٢ - ٢٠١٣م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعودية - وزارة التربية والتعليم

الأدب العربي : للصف الأول الثانوي : الفصل الثاني - الرياض.

١٠٠ ص. ٢١ × ٢٣ سم

ردمك : ٨-١٨١-١٩-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-١٨٣-١٩-٩٩٦٠ (ج٢)

١- الأدب العربي - كتب دراسية

٢ - التعليم الثانوي - السعودية - كتب دراسية . أ- العنوان

ديوي ٨١٠,٧١٢ ١٩/١٩٨٣

رقم الإيداع : ١٩/١٩٨٣

ردمك : ٨-١٨١-١٩-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-١٨٣-١٩-٩٩٦٠ (ج٢)

لهذا المقرر قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه...

إذا لم نحتفظ بهذا المقرر في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به...

موقع وزارة التربية والتعليم
www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج
http://curriculum.gov.sa

بريد الإدارة العامة للمناهج
info@curriculum.gov.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد : فهذا كتاب الأدب العربي للصف الأول الثانوي للفصل الدراسي الثاني، نقدِّمه في طبعته الجديدة المعدَّلة، آملين أن يكون ثقافة أدبية مشوقة تحقق المتعة والفائدة معًا. وهو يتناول بالدراسة الميسَّرة والعرض الدقيق الأدب العربي - تاريخًا ونصوصًا - في عصوره الثلاثة الأولى : العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام، والعصر الأموي.

ونحن إذ نقدم بين أيدي أبنائنا الطلاب وبناتنا الطالبات هذا الكتاب في طبعته الجديدة نرجو أن يكون محققًا لما أريد به من تبصير الطلاب والطالبات بوجدان الأمة، وتربية ملكة البيان والتذوق الأدبي، وتعزيز القيم العربية والإسلامية لديهم.

وأخيرًا نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب؛ إنه سميع مجيب الدعاء.

محتويات الكتاب

توزيع المقرر على أسابيع الفصل الدراسي

الأسبوع	الموضوع
الأول	عصر صدر الإسلام ـ مصادر الأدب : ١ ـ القرآن الكريم ويحفظ من الآيات المكية من أول النص إلى قوله : «لمن يخشى» ويحفظ من الآيات المدنية من أول الآيات إلى قوله : «المفلحون».
الثاني	٢ ـ الحديث الشريف ـ الشعر في عصر صدر الإسلام مع حفظ حديث «إنما أهلك من كان قبلكم...» وحديث «لا يكن أحدكم إمعة».
الثالث	نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام ـ حسان بن ثابت يفخر بالإسلام مع حفظ خمسة أبيات من أول النص.
الرابع	كعب بن زهير يمدح ويعتذر. مع حفظ عشرة أبيات من أول النص.
الخامس	الحطيئة يروي قصة كريم.
السادس	النثر في عصر صدر الإسلام: الخطابة، خطبتا الرسول ﷺ بعد حنين وفي حجة الوداع، ويحفظ من أول خطبة حجة الوداع إلى قوله : «عبدالمطلب».
السابع	خطبة أبي بكر ـ خطبة علي في الحث على الجهاد.
الثامن	الرسائل ـ عصر بني أمية ـ الشعر في عصر بني أمية.
التاسع	معن بن أوس في مكارم الأخلاق. مع حفظ النص كاملاً.
العاشر	جميل بن معمر في الغزل. مع حفظ خمسة أبيات من أول النص.
الحادي عشر	الفرزدق في الفخر والهجاء. مع حفظ النص كاملاً.
الثاني عشر	جرير يمدح عبدالملك.
الثالث عشر	الخطابة في العصر الأموي ـ الخطبة البتراء لزياد بن أبيه. ويحفظ من أول النص إلى قوله : «معصيته».
الرابع عشر	صفة المؤمن للحسن البصري.
الخامس عشر	الكتابة الفنية في العصر الأموي ـ عبدالحميد الكاتب حياته وأدبه مع حفظ رسالة عبدالحميد إلى زملائه الكتاب من أول النص إلى قوله : «ولا يوجد كاف إلا منكم».

عصـر صـدر الإسـلام

يُقْصد بعصر صدر الإسلام تلك الفترة الممتدة من بعثة الرسول ﷺ إلى آخر أيام الخلفاء الراشدين، وذلك عندما قُتِلَ علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ سنة ٤٠هـ.

أثـر الإسـلام فـي العـرب

كان العرب قبل الإسلام ـ كما عرفتهم في الجاهلية ـ أمة ممزقة لا تنتظمها وحدة، تكاد تفنيها الحروب والمنازعات، وكانوا أمة جاهلة تسودها الخرافة وتتقاسمها العقائد الفاسدة، وكانوا أمة معظمها يدين بالوثنية ويسجد للحجارة ويعبد آلهة متعددة لا تضر ولا تنفع.

تلك كانت حالهم، فما الآثار التي تركها الإسلام في العرب ؟

نستطيع أن نقول بأوجز عبارة : إن الإسلام أخرج العرب من الظلمات إلى النور، وكان له تأثير كبير في وثبة العرب العظمى في شتى جوانب الحياة، وإليك محاولة لرصد بعض هذه الجوانب :

١ ـ الجانب السياسي : كان العرب في مؤخرة الركب بين الأمم، بسبب تفرقهم، وخمود نشاطهم في الجنوب، وتضعضع أمرهم في الشمال. ثم جاء الإسلام فجعلهم خير أمة أُخرجت للناس، وحمَّلهم رسالة الله إلى عباده، ووحدهم تحت لواء واحد، فإذا الأعداء المتناحرون يتحولون إلى جيوش موحدة يخفق عليها علم الإسلام، وقد اتجهت تلك الجيوش إلى ميادين الفتوحات فأسقطت أعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر فارس والروم، وبذلك هُدِمَت صروح الظلم والفساد والعبودية، وأُقِيم على أنقاضها صروح العدالة والنظام والأخلاق.

وتكوَّنت الخلافة الإسلامية فأصبحت ذات نفوذ سياسي شامل، وأصبح العرب سادة العالم بما

نشروا من دين ودعوا إلى إصلاح، وبلغ هذا النفوذ السياسي مبلغًا جعلهم من الكون جميعه في موضع المنارة الهادية، والكوكب المضيء.

٢ ـ الجانب الاجتماعي : اجتثَّ الإسلام من العرب كل العادات الخبيثة، وأقرَّ مكارم الأخلاق. ففي حين أقرَّ الكرم والوفاء والشجاعة والنجدة وإباء الضيم... حارب الخمر والميسر والمنافرة والمفاخرة وحرم الربا وأكل أموال الناس بالباطل... كما أنه قلب موازين المجتمع الجاهلي الذي كان يقيس الناس بأنسابهم، فجعل أكرم الناس أتقاهم، وجعل الزنجي التقي أكرم من الهاشمي الكافر.

وقد بنى الإسلامُ المجتمعَ على الإخاء والتضحية فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١]، كما بنى المجتمعَ على المساواة والحرية والإيثار، حتى إن الواحد منه ليؤْثِر أخاه بشربة ماء مع أنه في أشد الحاجة إليها؛ لكونه في آخر رمق من الحياة.

ولم يهمل الإسلام المرأة فقد أعطاها دورها في بناء المجتمع الإسلامي، حين أنقذها من عبوديتها، ومنع وأدها، وكفل لها حق العلم والميراث واختيار الزوج، وكلَّفها ما كلف به الرجال من أمور الدين.

٣ ـ الجانب العقلي : محا الإسلام الخرافة واستبدل بها نور العلم، وحكّم العقل؛ وذلك حين محا الوثنية وجميع المعتقدات الباطلة كالكهانة والعرافة والطِّيَرَة والتشاؤم والتنجيم، وأحلَّ مكانها التوحيد الخالص، وكان ذلك إيذانًا ببداية عصر العلم وانتهاء عصر الجهل.

وقد سنَّ الإسلامُ سُبُل التفكير السليم وحذر من التقليد الأعمى، ودعا المسلمين إلى النظر في ملكوت السماء والأرض، ونادى بالتأمل في مشاهد الليل والنهار، واختلاف الطبائع والأجناس.

وعندما فتح المسلمون الأمصار وانتشروا في الآفاق درسوا أحوال الأمم المغلوبة وعلومها واقتبسوا من حضارتها، فامتزجت العقلية العربية بتلك العقليات امتزاجًا عميقًا تولّدت منه الفنون الأدبية، والحضارة الإسلامية التي طبقت الأرض، ومَهَّدت لرُقِيِّ الإنسان الحديث.

---

(١) سورة الحجرات : ١٠.

٤ ـ الجانب اللغوي والأدبي : اللغة والأدب مظهران من مظاهر الحياة المختلفة، ومن ثم فلابد أن يكون للإسلام تأثير فيهما.

أما اللغة فقد خلّد الإسلام اللغة العربية حين نزل القرآن بلسان عربي مبين، وضَمِن الله تعالى لها ذلك الخلود بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾[1]، وحِفظ القرآن يستلزم حفظ لغته التي نزل بها. ومن أثر الإسلام في لغة العرب أنه جعلها لغة عالمية غير مقصورة على إقليم معين، حيث يحرص كل مسلم على وجه الأرض على تعلُّمها، ليقرأ بها القرآن في صلاته. ومن أثره فيها أيضًا أنه رقّق ألفاظها، وأبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة.

وأما الأدب فكان أثر الإسلام فيه أثرًا بالغًا أيضًا، حيث رسم الإسلام الطريق للأدب ووضحه ووسّعه، فأصبح واسع المعاني متعدد الأفكار؛ وذلك بسبب شمولية الإسلام. كما أن الإسلام أثّر في الأدب من خلال القرآن والحديث حيث اقتفى الأدباء أثرهما، واقتبسوا من أسلوبهما، مما جعل نتاجهم الأدبي أشد روعة، وأكثر تأثيرًا في النفس. ومن أثر الإسلام في الأدب أنه أمدّه بكثير من الألفاظ التي لم يكن له عهد بها، كالجنة والنار، والميزان والصراط، والبعث والنشور، والصلاة والزكاة، وأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

وأخيرًا فإن الإسلام خلّص الأدب ونقّاه من الشوائب التي كانت عالقة به كالشعر الذي يدعو إلى العصبية، وكالهجاء المُقْذِع، والغزل الفاحش، ووصف الخمر، وغيرها مما يتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه.

---

(١) سورة الحجر.

مصادر الأدب في عصر صدر الإسلام

نستطيع أن نحصر هذه المصادر في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأدب الجاهلي، فقد اسْتَلْهم الأدب الإسلامي أفكاره وأساليبه من هذه المصادر الثلاثة. وسوف نتحدث هنا عن القرآن الكريم والحديث الشريف، أما الأدب الجاهلي فقد ألممنا به إلمامة تغنينا عن استئناف البحث فيه.

١ ـ القرآن الكريم

هو كلام الله ومعجزة محمد ﷺ، تحدّى بها بلاغة الإنس والجنّ، وهو حُجَّة الله على الناس كافة وعلى العرب خاصة؛ لأنه نزل بلغة العرب. فيه تبيان لكل شيء.

والقرآن كنز الحكمة والعلم والمعرفة، ما فرّط الله فيه من شيء، ولاتزال الأيام تكشف المزيد من معجزاته وعجائبه.

موضوعات القرآن:

السور المكية كلُّها تدور حول توحيد الله تعالى وإثبات وحدانيته بأدلة من آياته ومخلوقاته، وتعظيم أمر التوحيد والترغيب فيه بالجنة، وتهويل أمر الشرك وإنذار المشركين بعذاب جهنم.

أما السور المدنية ففيها تشريعات سياسية وقضائية واجتماعية وعسكرية، تكفل سعادة الفرد والمجتمع، وفيها أيضاً آداب ترسم طرق الأخلاق الكريمة، وتأمر بكل معروف وتنهى عن كل منكر، ثم إنها توضّح فروض العبادات والمعاملات.

لغة القرآن :

نزل القرآن بلغة قريش وفيه بعض ألفاظ من لغات[1] القبائل المُضَريَّة واليمنية. فقد ذكروا أن كلمة «فشل» بمعنى جَبُنَ هي من لغة حِمْيَر، وأن كلمة «الأرائك» بمعنى الأسرَّة هي أيضًا يمنيّة وأن كلمة «الموئل» بمعنى الملجأ هي من لغة كنانة، وأن كلمة «السائح» بمعنى الصائم هي من لغة هُذيل.

أما الألفاظ التي قيل إنها أعجميّة كالإبريق والسُّنْدُس والإستبرق والكافور والأكواب والقوارير فالمعتقد أنها في حكم العربيّة وأنها كانت جزءًا من لغة العرب قبل نزول القرآن بقرون طويلة والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[2].

إعجاز القرآن :

لقد أيَّد اللهُ ـ سبحانه ـ رُسُلَه بمعجزات، وكانت معجزة كلِّ رسول من جنس ما يحسنه قومه، فلما كان السحر منتشرًا في زمن موسى ـ عليه السلام ـ جاءت معجزته بما هو أعظم من أعمال السحرة وهو العصا، وانفجار الصخر، وانفلاق البحر. ولما كان قوم عيسى بارعين في الطب جاءت معجزته ـ عليه السلام ـ بإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى. ولما كان العرب في الجاهلية يتباهون بالبيان والبلاغة جاءت معجزة محمد ﷺ بالقرآن الكريم.

فقد تحدَّى الله العرب أن يأتوا بمثله، بما فيه من بديع نظم، وحسن تأليف، وروعة أسلوب، ودقة عرض. ولذا فعندما سمعه العرب وهم أمراء البيان أكبروه وعجزوا عن أن يردُّوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة، فقالوا مضطربين: إنه شعر شاعر، أو فعل ساحر، أو سجع كاهن... ووَصْفُهُم إيّاه بأنه نوع من هذه الأنواع التي تشترك في فتنة العقل دليل على فعله القوي في نفوسهم.

---

(١) وتسمَّى اللهجات.

(٢) سورة يوسف.

وببلاغة القرآن الكريم تحدى الله العرب، إلا أن هناك وجوهًا أخرى لإعجاز القرآن الكريم لم يقع فيها التحدي وهي : الإخبار عن الغَيْبِيَّات والأمور المستقبلية، والإخبار عن الأمم الماضية، كما ظهر في هذا العصر وجه جديد وهو ما يُسمَّى بالإعجاز العلمي، ولكلٍّ من هذه الوجوه أمثلة لا يتَّسع المقام لذكرها.

أسلوب القرآن :

ألفاظ القرآن الكريم لها نسق بلاغي حيّر العقول وأعجز البلغاء، فما تستطيع مهما أوتيت من بلاغة أن تستبدل بكلمة واحدة من القرآن الكريم كلمةً مثلها في بلاغتها.

والآيات القرآنية مسجوعة الفواصل غالبًا، وهذا من حكمة الله جلّ وعلا؛ لأن السجع سهّل على القُرّاء حفظها.

ولكل من السور المكية والمدنية خصائص تتميز بها غالبًا، فالسور المكية قصيرة الآيات، أسلوبها يثير العواطف والعقول معًا، وهي حارّة اللهجة فيها تهويل وتكرار وجدل وإقناع.

والسور المدنية طويلة الآيات، هادئة اللهجة، عذبة الألفاظ، فيها وضوح يناسب التعليم ودقة تناسب التشريع.

ومن الخصائص العامة لأسلوب القرآن الكريم ما يأتي :

١) **التكرار** : وذلك لتثبيت المعنى في النفوس، ومن السور التي يتضح فيها التكرار البليغ سورة القمر، وسورة الرحمن، وسورة المرسلات.

٢) **الالتفات** : وهو الانتقال من ضمير إلى ضمير كأن ينتقل من ضمير الغائب إلى المخاطب أو المتكلم كقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا

﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ (٤٨)[1].

فقد تكلّم الله عن المشركين بضمير الغائب في قوله : (وحشرناهم) ثم بضمير المخاطب في قوله : (جئتمونا) . وتكلّم جلّ وعلا عن نفسه فقال : (وحشرناهم) بضمير المتكلم ثم قال : (وعرضوا على ربّك) . والسّر في بلاغة الالتفات أن إطالة الإنصات إلى أسلوب واحد تأتي بالرتابة على المعنى، ومن ثم فهو يأتي مزيلاً لتلك الرتابة ومجددًا لنشاط السامع .

٣) **الإيجاز** : ولذلك فقد اجتمع بين دَفّتي المصحف من أمر التشريع والعقيدة والعلوم ما لم تتسع له مجلدات التفسير الكبيرة .

٤) **ضرب المثل** : ومعظم أمثال القرآن الكريم محسوسة؛ وذلك لتثبيت الأمور المعنوية وتوضيحها في الأذهان .

---

(١) سورة الكهف .

نمـاذج مـن آيـات الـقـرآن الكـريـم

(١) نموذج من الآيات المكية :

قال تعالى في سورة النازعات :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن
تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) أَأَنتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠)
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ
يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا
لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴾.

---

(١٦) طوى : اسم واد بطور سيناء.

(١٨) هل لك إلى أن تزكى : ألا ترغب في أن تصبح طاهرًا نقيًا.

(٢٠) الآية الكبرى : العصا.

(٢٣) فحشر فنادى : فجمع الناس ونادي فيهم.

(٢٥) النكال : العذاب للعبرة.

(٢٨) سمكها : علوها وارتفاعها.

(٢٩) أغطش الليل : جعله مظلمًا.

(٣٠) دحاها : بسطها.

(٣٤) الطامة : المصيبة العامة. والطامة الكبرى من أسماء يوم القيامة.

(٣٥) ما سعى : سعيه وعمله.

(٤٢) أيان مرساها : متى رسوها أي حدوثها وفي الكلام استعارة جميلة كأن الساعة سفينة، ورسوُّها معناه انتهاء رحلتها.

(٤٣) فيم أنت من ذكراها : أين أنت من تحديد موعدها ؟

(٤٤) منتهاها : نهاية عملها.

(٤٦) يذهلون لرؤيتها وكأن كل حياتهم الدنيا لم تكن سوى بعض يوم.

(٢) نموذج من الآيات المدنية :

قال تعالى في سورة آل عمران :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ
(١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) ﴾.

---

(١٠٣) اعتصموا : تمسكوا، والمراد بحبل الله دينه أو كتابه.

(١٠٣) شفا حفرة : حافتها، ويضرب مثلاً للقرب من الهلاك.

(١٠٥) البينات : الآيات الواضحات.

(١٠٦) أكفرتم : أي فيقال لهم : أكفرتم.

(١١٠) أهل الكتاب : اليهود والنصارى، والمقصود بهم هنا اليهود.

(١١٢) الذلة : الهوان.

(١١٢) ثُقِفُوا : وُجِدوا.

(١١٢) بحبل من الله : بعونه ومساعدته.

(١١٢) باؤوا : رجعوا.

المناقشة :

١ ـ ما حال العرب قبل الإسلام ؟ وما أعظم أثر تركه فيهم ؟

٢ ـ ما الآثار التي أحدثها الإسلام في لغة العرب وأدبهم ؟

٣ ـ ما الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم ؟ وبأية لغة نزل ؟

٤ ـ ما وجوه إعجاز القرآن ؟ وبأيها وقع التحدي ؟ ولماذا ؟

٥ ـ لكل من السور المكية والمدنية خصائص تتميز بها غالبًا. فما تلك الخصائص ؟

٦ ـ ما الآية التي تكررت في سورة الرحمن ؟ وما تلك التي تكررت في سورة المرسلات ؟ وما سبب التكرار ؟

٧ ـ من الخصائص العامة لأسلوب القرآن ضَرْب المثل. أبيِّن فائدته، ثم أذكر مثالاً يوضح ما أقوله.

٨ ـ ما نوع الأسلوب الذي بُدِئت به سورة النازعات ؟ وما فائدته ؟

٩ ـ إذا قرأت سورة النازعات عرفت حالاً أنها مكية. أذكر أربعة أسباب لذلك.

١٠ ـ أوضح الصورة البيانية الرائعة في قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾.

١١ ـ ما الأمر الذي أمر الله المؤمنين بالتمسك به ؟ وبم امْتَنَّ عليهم ؟ ولماذا كانت أمة محمد أفضل أمة بعثت للناس ؟ (أجيبُ من خلال الآيات المدنية).

١٢ ـ أوضح الصورتين البيانيتين في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ وقوله : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾، وأُبيِّنُ فائدتهما .

١٣ ـ في الآية (١٠٤) عُطِف الخاص على العام. أحددُ موضع العطف، وأبيِّن فائدته البلاغية.

٢ ـ الحديث الشريف

الحديث الشريف ـ أو السنَّة النبوية ـ هو قول الرسول ﷺ، أو فعله، أو تقريره.

وظيفة الحديث الشريف :

الحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم، لأن الله قد أعطى لنبيِّه حق التشريع في بعض الأمور، فالقرآن احتوى على أصول الدين وقواعد الأحكام العامة ونصَّ على بعضها وترك بيان البعض الباقي للرسول ﷺ.

وتتلخَّص وظائف الحديث في توضيح القرآن الكريم، وتفصيل إجماله، وتقييد إطلاقه، وتخصيص عمومه.

خصائص أسلوب الحديث :

كلام النبي ﷺ آية في الفصاحة والبلاغة، وقمّة في البيان، وهو أبلغ كلام صدر عن بشر، ولكن بلاغة القرآن الكريم في أفق لا تناله بلاغة الإنسان[1]. وترجع بلاغة النبي ﷺ إلى عدة أسباب : أولها : أنه مُؤَيَّد بالوحي والإلهام، وثانيها : موهبته الفطرية، وثالثها : نشأته في قريش واسترضاعه في بني سعد وهم أفصح العرب، ورابعها : تضلُّعه من لغة القرآن الكريم وعلمه بلغة العرب.

ويمتاز الحديث الشريف بما يأتي :

١ ـ أنه موجَزٌ إيجازاً بليغًا، فالألفاظ القليلة تشتمل على معانٍ كثيرة، كقوله ﷺ : « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ ». ولهذا سُمِّي جوامع الكَلِم.

---

(١) جعل بعض علماء البلاغة الكلام البليغ على ثلاث مراتب. الأولى : القرآن الكريم، الثانية : الحديث الشريف، الثالثة : كلام فصحاء العرب شعراً ونثراً.

٢ ـ أنه خالٍ من التكلُّفِ والزخْرُف ينسابُ من طبع صادق ونبع غزير صافٍ.

٣ ـ أن معانيه مستقاة من معاني القرآن الكريم العظيمة ومقاصده الكريمة، ولذلك فإن أغلب أحكامه ما هي إلا صدى لصوت القرآن الكريم.

٤ ـ أنَّه سَهْل اللفظ يُخاطبُ في سهولته العامّة والخاصّة مع ملاءمته لحالة المُخاطَب.

٥ ـ أن فيه كثيراً من الأمثال التي توضح المعنى وتقرِّبه إلى الأذهان.

نماذج من كلام النبي صلى اللّه عليه وسلم :

١ ـ قال رسول الله ﷺ في المساواة :

«إنَّما أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيْهِمُ الشَّرِيْفُ تَرَكُوه، وإذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ أقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ».

٢ ـ وقال في أحوالِ الناسِ مع القرآن الكريم :

«مَثلُ المُؤْمنِ الذي يَقْرأُ الْقُرآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّة؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وطَعْمُهَا طَيِّبٌ. ومَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لاَ يَقْرأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَمْرَة؛ لا رِيْحَ لَهَا وطَعْمُهَا حُلْوٌ. ومَثلُ الْمُنَافقِ الذي يَقْرأُ الْقُرآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَة؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وطَعْمُهَا مُرٌّ. ومَثَلُ المُنَافِقِ الذي لا يَقْرَأُ الْقُرآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَة؛ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وطَعْمُهَا مُرٌّ».

٣ ـ وقال في وحدة المسلمين واتحاد مشاعرهم :

«مَثَلُ المؤمِنِيْنَ فِي تَوادِّهِمْ وَتَراحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى».

٤ ـ وقال في الاستقلال بالرأي الخيِّر البنّاء :

«لاَ يَكُنْ أحَدُكُمْ إمَّعَةً ، يَقُولُ إنْ أحْسَنَ النَّاسُ أحْسَنْتُ وإنْ أسَاؤُوا أسَأْتُ. ولَكِنْ وَطِّنُوا[١] أنْفُسَكُمْ إنْ أحْسَنَ النَّاسُ أنْ تُحْسِنُوا ، وإنْ أسَاؤُوا أنْ تَجْتَنِبُوا إسَاءَتَهُم».

٥ ـ ومن أحاديثه الموجزة الجامعة لكثير من المعاني الجليلة :

«الضَّعِيفُ أميرُ الرَّكْب».

«إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات ، وَإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

«إنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق».

«الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوف».

«لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ[٢] ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس».

«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُه».

«العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء».

«مَنْ سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ لَه في رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ[٣] لَهُ في أَجَلِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَه».

المناقشة :

١ ـ ما وظائف الحديث الشريف ؟ أرجعُ إلى أحد كتب الحديث، أو إلى أستاذ مادة الحديث، لأتعرف على مثال لكلِّ وظيفة.

٢ ـ في أي مرتبة يقع الحديث الشريف بين مراتب الكلام البليغ ؟

---

(١) وطِّنوا : عوِّدوا.

(٢) العَرَض : المال.

(٣) ينسأ : يمد له في عمره.

٣ ـ إلام ترجع بلاغة النبي ﷺ ؟

٤ ـ من جوامع كَلِمِهِ ﷺ قوله : «قُلْ آمنتُ باللهِ ثمَّ استقمْ». ما المراد بجوامع الكلم ؟ وما الأفكار التي اشتمل عليها هذا الحديث ؟

٥ ـ أختارُ حديثًا تظهر فيه خاصية ضرب الأمثال، وأشرحه.

٦ ـ كيف يستفيد الأديب المسلم من الحديث الشريف ؟

الشعر في عصر صدر الإسلام

موقف الإسلام من الشعر:

يظنُّ بعض دارسي الأدب أن الإسلام حارب الشعر، بينما الصحيح أنه لم يحاربه لذاته وإنما حارب الفاسد من مناهج الشعراء، ويتمثل هذا المعنى في الآية الكريمة التي صنّفت الشعراء إلى فئتين: فئة ضالة، وأخرى مهتدية، حيث يقول تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾(١).

بل إن الإسلام ذهب إلى أبعد من هذا حين اتخذ الشعر سلاحًا من أسلحة الدعوة، وعدّه نوعًا من أنواع الجهاد، فجعل الشاعر على ثغرة من ثغور الإسلام لا يسدُّها إلا هو وأمثاله من الأدباء.

وقد أدرك الإسلام قيمة الكلمة الشعرية وشدة تأثيرها، ولذا كان النبي ﷺ يشجّع الشعر الجيد المنطوي على مُثُلٍ عليا، وكان يستمع إليه ويعجب بما اشتمل عليه من حكمة، حتى لقد قال: «إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة»، ولما استأذن حسان بن ثابت - رضي الله عنه - في الرد على المشركين أذن له وقال: «أُهْجُهُمْ ومعكَ روحُ القُدُسِ» كما كان ﷺ يستزيد الخنساء من الشعر فيقول: «هِيهِ، هيه يا خُنَاسُ».

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، حيث كانت سيرتهم تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فقد اقتفوا أثره، وتحرَّوا سنته، فما نفع من الشعر أو حَسُن قبلوه وشجعوه عليه، وماكان فيه ضرر أو قبح نبذوه وحاسبوا عليه.

---

(١) سورة الشعراء.

وخلاصة القول أن الإسلام وقف من الشعر موقفًا وسطًا، فلم يؤيده ولم يعارضه، وإنما عدَّه كلامًا كأيِّ كلام فحسنُه حسن وهو مقبول، وسيئه سيئ وهو مرفوض، وما يقال عن الشعر يقال عن بقية فنون الأدب الأخرى.

حال الشعر في عصر صدر الإسلام:

يذكر بعض دارسي الأدب أن الشعر في هذا العصر قد أصيب بالضَّعْف، وتعرَّض لفترة من الركود. وفي هذا الكلام شيء من الخطأ، وشيء من الصواب.

أما أنه أُصيب بالضعف فكلام غير صحيح؛ لأنه مبني على خلط بين الضعف من جهة وبين اللين والسهولة من جهة أخرى، وذلك لأن الإسلام صادف في العرب قلوبًا قاسية فألانها، وطباعًا جافية فرقّقها، ومن ثم أصبح الشعراء يختارون من الكلمات ألْيَنَها، ومن الأساليب أسهلها، وابتعدوا عن الألفاظ الجافة الغليظة، والتراكيب الوعرة، وشعر حسان في الجاهلية والإسلام خير شاهد على ما نقول.

وأما أنه تعرَّض لفترة من الركود فصحيح وذلك للأسباب التالية :

١ ـ بُهر العرب ببلاغة القُرآن، وملأت نفوسَهم عقيدةُ الإسلام وآدابُه. وفي أثناء ذلك شُغلوا بالفتوحات فصرفهم كل ذلك عن قول الشعر إلا قليلاً.

٢ ـ سقوط منزلة الشعراءِ لِتَكَسُّبهم بالشعر وخضوعهم في سبيل العطاء للممدوحين، وبذلك علا شأن الخطابة وانخفض شأن الشعر، وخصوصًا بعد أن صارت الخطابة هي الوسيلة الطيِّعة المرنة لنشر دعوة الإسلام.

٣ ـ أن نفرًا من الشعراء الذين ظلّوا على الشرك من أمثال عبدالله بن الزِّبَعْرَى هجوا رسول الله ﷺ فأمر النبي ﷺ بترك رواية شعرهم.

٤ ـ أن الإسلام حارب العصبيات، وحرَّم الخمر، وقاوم الهجاء القبليّ المقذع، والغَزَل الفاحش، ولم يشجع رحلات اللهو والقنص. وكلُّ هذه الأمور كانت وَقُودًا جزلاً لشعلة الشعر،

فلما قاومها الإسلام اقتصرت أغراض شعر المُخَضْرَمِين[1] على مناقضة شعراء المشركين وعلى مدح رسول الله ﷺ وأصحابه...

ومع هذا فلم يَخْلُ هذا العصر من أصوات شاعرية عذبة من أمثال لبيد بن ربيعة والخنساء وحسّان بن ثابت وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحه وكعب بن مالك وغيرهم.

أسلوب الشعر ومعانيه :

يُعدُّ الشعر في عصر صدر الإسلام امتداداً لسابقه في العصر الجاهلي؛ لأن شعراء هذا العصر هم أنفسهم شعراء العصر الجاهلي، ولهذا فقد كانوا يُسمَّون بالمخضرمين. إلا أن هذا لا يمنع أن يكون قد حدث شيء من التغيير في أسلوب الشعر ومعانيه.

أما أسلوب الشعر في هذا العصر فقد اختلف بشكل يسير عن أسلوب الشعر الجاهلي، وذلك من خلال تأثره بأسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث الشريف وتأثره بعاطفة المسلم الرقيقة؛ فالورع والتقوى ومخافة الله أوجدت أسلوباً يبتعد عن الجفاء والغلظة والخشونة التي هي أبرز سمات الشعر الجاهلي، ومن هنا فقد أصبح الشاعر الإسلامي يختار الألفاظ اللينة والتراكيب السهلة الواضحة التي تؤدي المعنى بشكل دقيق. أما أوزان الشعر وأخيلته ونظام القصيدة فقد بقيت على ما كانت عليه في العصر الجاهلي، لأن مثل هذا التغيير يتطلب وقتاً ليس بالقصير.

وأما معاني الشعر فقد اختلفت بشكل كبير عن معاني الشعر الجاهلي الذي لم يكن يقف عند حد معيّن أو فكر محدّد، ومن ثمَّ أصبح الشاعر في هذا العصر يختار من المعاني ما يخدم الإسلام ويدعو إليه، مستقياً معظم هذه المعاني من القرآن الكريم والحديث الشريف.

ولكن من غير المقبول أن يقال إن معاني الشعر الإسلامي انفصلت انفصالاً تامًّا عن معاني

---

(١) الشاعر المخضرم : هو الذي عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام.

الشعر الجاهلي ؛ لأن الأدب الجاهلي ـ كما ذُكِر سابقًا ـ هو المصدر الثالث من المصادر التي يستقي منها الأدب الإسلامي أفكاره وأساليبه.

ولهذا فإن المعاني التي أهملها الشعر هي المعاني التي نفاها الإسلام فلم تَعُدْ صالحة للبقاء، كالشعر الذي يدعو للعصبية، وكالغزل الفاحش، والهجاء المقذع، والمدح الكاذب، ووصف الخمر، أما المعاني التي لم يَنْفِها الإسلام فقد بقيت متداولة لدى الشعراء، مع تغيُّر القِيَم التي يعتمدون عليها في تلك المعاني، فإذا كانت قيم المدح في الجاهلية هي الشجاعة والكرم والجود فإنها في الإسلام تعني التمسك بالدين والتحلِّي بحسن الخلق والورع والزهد، وإذا كانت قيم الفخر في الجاهلية هي الأحساب والقبيلة فإنها في الإسلام تعني الانتساب للإسلام واتباع الرسول، وهكذا في بقية الأغراض، إلا أن هذا لا يمنع أن يجمع الشاعر بين القيم القديمة، والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام.

وأخيرًا نشير إلى أن هناك موضوعاتٍ جدَّت وطرأت في هذا العصر كشعر الدعوة ونشر عقائد الإسلام، ووصف الفتوحات الإسلامية وأماكن الجهاد، كما وجدت في هذا العصر البذرة الأولى للشعر السياسي الذي برز فيما بعد في عصر بني أمية، بسبب تعدد الأحزاب السياسية.

المناقشة :

١ ـ ما موقف الإسلام من الشعر ؟ أذكر أدلة من سيرة الرسول ﷺ توضح ما أقول.

٢ ـ أذكر رأيي فيما يقال من أن الشعر في عصر صدر الإسلام قد أُصيب بالضعف ؟

٣ ـ ما الأسباب التي أدَّت إلى ركود الشعر في هذا العصر ؟

٤ ـ أتحدثُ عن أثر الإسلام في أسلوب الشعر الجاهلي.

٥ ـ أثَّر الإسلام في معاني الشعر وموضوعاته فألغى بعضها، وأبقى بعضها. أشرح هذه العبارة.

٦ ـ ما الموضوعات التي جدَّت في الشعر في عصر صدر الإسلام ؟

نماذج من الشعر في عصر صدر الإسلام

١ ـ حسان بن ثابت
يفخر بالإسلام ويرد على المشركين

التعريف بالشاعر:

حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي، من أعرق بيوت الأنصار، عُمِّر طويلاً، اتصل في الجاهلية بملوك الغساسنة والمناذرة ومدحهم، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة سارع حسان إلى الدخول في الإسلام، وأصبح بحق شاعر الإسلام والرسول. توفي رضي الله عنه سنة ٤٠هـ بعد أن كفَّ بصره.

مناسبة النص:

قام شعراء المشركين بهجاء النبي ﷺ، وكان من أشدّهم عداءً ونكاية أبو سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب وشاعر آخر يقال له ابن الزِّبَعْرَى، فقال حسّان لرسول الله ﷺ: أتأذن لي أن أهجوَهم؟ فقال النبي ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم؟» فقال حسّان: أسُلُّك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. فوافق النبي الكريم وقال: «اُهْجُ ومعكَ روحُ القُدُس وسَلْ أبابكر»، أي استشره لمعرفته بالأيام والأنساب.

فنظم حسّان عِدّة قصائدَ في هجاء المشركين، ويبدو أنه قال هذه القصيدة قُبيل فتح مكة ردًّا على أبي سفيان بن الحارث الذي أسلم بعد ذلك وحسُن إسلامه، فشارك في أمجاد الفتوح الإسلامية حتى استُشْهِد بأجنادين.

النــــص :

١ ـ عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

٢ ـ يُبَارِينَ الأَسِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

٣ ـ تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ

٤ ـ فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطَاءُ

٥ ـ وإلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلادِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

٦ ـ وَجِبْرِيلٌ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

٧ ـ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الحَقَّ إنْ نَفَعَ البَلاَءُ

٨ ـ شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ : لا نَقُومُ ولا نَشَاءُ

٩ ـ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

١٠ ـ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أو قِتَالٌ أَو هِجَاءُ

١١ ـ فَنَحْكُمُ بِالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

١٢ ـ وَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

١٣ ـ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ فِدَاءُ

١٤ ـ لِسَانِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فِيهِ ... وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ

---

(١) النقع : غبار الحرب. كداء : موضع بأعلى مكة قرب الجمرات.

(٢) الأسنة : أطراف الرماح. مصعدات : مسرعات في الصعود. الأسلُ : الرماح الجيدة.

(٣) متمطرات : مسرعات متحفزات. الخمر : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها.

(٤) الفتح : يعني فتح مكة. انكشف الغطاء : انجلى الأمر.

(٥) الجلاد : المصابرة في القتال.

(٦) روح القدس : جبريل. كفاء : نظير وشبيه.

(٧) نفع البلاء : نفع الاختيار ونفعت الذكر.

(٩) عرضتها : همتها.

(١٠) معد : قريش لأنهم عدنانيون.

(١١) نحكم : نمنع.

(١٤) صارم : قاطع. تكدره : تعكره.

الشــــرح :

يقول الشاعر في الأبيات ١ ـ ٥ : لا عاشت خيلنا إن لم تهاجمكم من أعلى مكّة (وهذا ما حدث فعلاً يوم الفتح) وسيكون على أكتافها رماحنا المتعطشة إلى دمائكم، وستنهزمون فلا نجد إلا نساءكم يحاولن رَدَّ خيولنا بخُمُرهن، فإن استسلمتم تمَّ الفتح وانكشفت الغُمّة وإلا فانتظروا قتالاً مريرًا ينصر الله فيه المؤمنين.

وفي الأبيات ٦ ـ ١٢ يفخر الشاعر بأن ملائكة الله تؤيد جيش المسلمين وعلى رأسهم جبريل روح القدس الذي لا ينهض لقوته نِدّ من البشر، ويعيّر المشركين بأنهم لم يستجيبوا لدعوة محمد كما أمرهم الله بذلك، ويفتخر بأن الله قد هيَّأ لهذا الدين جنودًا أقوياء على القتال، معتادين على لقاء الأعداء وهم الأنصار، الذين يتعرضون في كل يوم للسبِّ والقتال من قبل المشركين، ولكنهم لا يستكينون ولا يضعفون، بل يقابلون هجاءهم بقوافيهم اللاذعة المفحمة، ومن صمد منهم للقتال ضربوه وعصفوا به. ثم إنكم يا كفار قريش لا وزن لكم ولا قيمة، وما نبالي أن تمدحوا محمدًا أو تهجوه.

وأخيرًا يذكر الشاعر في البيتين ١٣ ـ ١٤ مقدار إخلاصه لرسول الله ﷺ، ومدى ما يتمتع به من قدرة شعرية فيقول : إني أفدي محمدًا بأبي وعرضي، وأتمتع بلسان صارم، كما أنني بالنسبة لشعراء قريش كالبحر الذي لا تعكره الدلاء.

التعليــق :

إذا أمعنت النظر في أبيات حسان وجدت فيها ثلاث خصائص :

١ ـ أن فخره وهجاءه يختلفان عن الفخر والهجاء عند الجاهليين. فلم يعد الفخر بالأحساب

والقبيلة، ولم يعد الهجاء بما كان يتهاجى به الجاهليون، وإنما نرى حسّانَ ـ رضي الله عنه ـ يفتخر بالإسلام وباتّباع رسول الله، ويهجو المشركين بإعراضهم عن الإسلام وتكذيبهم لرسول الله ﷺ ويعيّرهم بالهزائم في معارك الإسلام.

٢ ـ أن شعر حسّان متأثر تأثرًا شديدًا بألفاظ القُرآن الكريم ومصطلحات الإسلام، ويبدو ذلك واضحًا في قوله : (اعتمرنا، يعز الله من يشاء، جبريل أمين الله، روح القدس، وقال الله قد أرسلت عبدًا، يقول الحق، وعند الله في ذاك الجزاء).

٣ ـ أن أبرز عنصر فني في شعر حسّان هو العاطفة الحارة الصَّادقة، ولا عجب فهو مخلص للإسلام محبٌّ لرسول الله ﷺ، وحسبك أن تتأمل البيت الثالث عشر لترى مقدار التضحية التي يحبُّ حسّان أن يقدّمها للحفاظ على عرض رسول الله ﷺ. كما أن في البيت الثاني عشر سخرية شديدة لاذعة؛ لأنه تهكم بهم وجعل هجاءهم ومدحهم سواء، إذ لا قيمة لكلامهم ولا أهمية له، فكلامهم كعدمه.

٤ ـ ألفاظ حسّان وصُوره إذا استثنينا منها المصطلحات الإسلامية نراها بدوية على الرغم من مخالطة حسّان للملوك في الجاهلية، وذلك كما في البيت الثاني، والبيت الرابع عشر الذي يحتوي على أكثر من صورة شعرية رائعة.



المناقشة:

١ ـ ما معنى النقع ؟ وما مراد الشاعر بقوله : عدمنا خيلنا ؟

٢ ـ بالغ حسّان في وصف سرعة الخيل وقوتها. فبِمَ وصفها ؟ ولماذا يُهَوِّل في وصفها ؟

٣ ـ خيَّر حسان المشركين في بيتين من القصيدة بين أمرين. أذكر البيتين وأوضحُ الأمرين.

٤ ـ ما مدى تأثر حسّان بمعاني الإسلام وألفاظه ؟ أستشهد على ذلك من شعره.

٥ ـ ظهر حُبُّ حسان للنبي ﷺ أوضحُ كيف صوَّر هذا الحب.

٦ ـ أوضحُ الصورتين الواردتين في البيت الرابع عشر.

٧ ـ لماذا كان البيت الثاني عشر لاذع السخرية ؟

٨ ـ في أحد الأبيات إشارة إلى هزيمة المشركين. أحدِّدُ البيت وأشرحه.

٩ ـ أحدِّدُ البيت الذي أعتقد أن حسان بلغ فيه قمة الفخر، وأذكر السبب.

١٠ ـ أتحدثُ عن عاطفة الشاعر في هذه الأبيات.

٢ ـ كعب بن زهير

يمدح ويعتذر

التعريف بالشاعر:

هو كعب بن زهير بن أبي سُلْمى المزني، شاعر مخضرم، عاش مع أبيه زهير في قبيلة غطفان التي كانت تقيم شرقي المدينة. كان كعب وأخوه بُجَيْر يرعيان الغنم فسمعا بخبر الرسول ﷺ وهما قريبان من المدينة، فذهب بُجَيْر يستطلع الأمر فدخل الإيمان قلبه فلم يَعُد إلى أخيه، فلما سمع كعب بأمره غضب عليه وأرسل إليه رسالة يلومه فيها ويهجو الرسول ﷺ. وكعب من شعراء الجاهليين المقدَّمين؛ لأنه نشأ في أعرق بيوتات الشعر، فأبوه زهير وأخوه بجير وأختاه سلمى والخنساء كلهم شعراء.

مناسبة النص:

هجا كعب بن زهير الرسول ﷺ والمسلمين، فغضب النبي ﷺ وأهدر دمه فهام على وجهه، ثم لما ضاقت به الأرض جاء أخاه بجيرًا بليل واستشاره، فأشار عليه أن يمدح رسول الله ﷺ بقصيدة ويلقيها بين يديه في المسجد بعد أن ينتهي من صلاته، فنظم كعبٌ هذه القصيدة الشهيرة وفعل ما أشار به أخوه فعفا عنه رسول الله ﷺ وخلع عليه بردته التي كان يلبسها. وقد اكتسى كعب بتلك البُرْدة حلَّة مجد لا تبلى ولُقبتْ قصيدته «بالبُرْدَة» من أجل بردة الرسول ﷺ.

النص :

١ - بَانتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

٢ - وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

٣ - فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أبَالَكُمْ ... فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

٤ - كُلُّ ابنِ أُنْثَى وإنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

٥ - نُبِّئتُ أنَّ رَسُولَ الله أوْعَدَنِي ... والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ

٦ - مَهْلاً هَدَاكَ الذي أعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... قُرآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

٧ - لاَ تَأْخُذَنِّي بِأقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقَاوِيلُ

٨ - مَازِلْتُ أقْتَطِعُ البَيْدَاءَ مُدَّرِعًا ... جُنْحَ الظَّلامِ وَثَوْبُ اللَّيلِ مَسْبُولُ

٩ - حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا ... فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قَوْلُهُ القِيلُ

١٠ - إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ

١١ - فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيشٍ قَالَ قَائلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا

١٢ - زَالُوا فَمَا زَالَ أنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ

---

(١) بانت : رحلت. متبول : مريض من الحب. متيم : مستعبد للحب. إثْرها : بعدها. مكبول : مقيد.

(٤) آلة حدباء : النعش. (٥) أوعدني : هددني. مأمول : مرجو ومنتظر.

(٦) نافلة : عطية. تفصيل : تبيين.

(٨) مدَّرعًا : لابسًا. مسبول : مسدل مُرْخى. البيداء : الصحراء.

(٩) ما أنازعها : أي مستسلمًا. نقمات : جزاء على الشر. (١٠) صارم : سيف قاطع.

(١١) عصبة من قريش : يعني المهاجرين. زولوا : هاجروا.

(١٢) أنكاس : جمع نِكس وهو الضعيف. كُشُف : جمع أكشف وهو الذي لا ترس له. مِيلٌ : جمع أَمْيَلِ وهو الجبان. معازيل : جمع مِعْزَال وهو من لا سلاح له.

١٣ ـ شُمُّ العَرَانِينِ أبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجَا سَرَابِيلُ
١٤ ـ لاَ يَفْرَحُونَ إذا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
١٥ ـ لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إلا فِي نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

الشــــرح :

بدأ الشاعر في الأبيات ١ ـ ٤ بمقدمة غزلية على عادة الشعراء، تحدث فيها عن رحيل الأحباب وذهول قلبه بعد الفراق، ثم انتقل إلى وصف حاله في أثناء تشرده فقال : لقد تبّرأ مني كل صديق وقال لي : لا تضيّع وقتك فإني مشغول عنك، وحينئذٍ قلت لهم : اتركوني فالمقدّر كائن ومصير كل إنسان إلى الموت.

وفي الأبيات ٥ ـ ١٠ يمدح الرسول ﷺ ويستشفعه ويصف الرهبة التي تتملكه فيقول : علمت أن الرسول ﷺ قد هدّدني ولكن العفو منه مأمول فهو الأليق بفضائله العظيمة. ويقول مخاطبًا رسول الله ﷺ . تمهّل هداك الله ولا تنتقم ولا تأخذني بما يقول الوشاة مهما كثرت أباطيلهم. لقد قطعت إليك الصحراء مستترًا بالليل حتى وضعتُ يدي في يد رجل عظيم السطوات نافذ القول.

وفي الأبيات ١١ ـ ١٥ يمدح المهاجرين كيف تنادوا للهجرة في سبيل الله فهاجروا أقوياء مسلحين، ومدحهم بأنهم أعزّة لباسهم الدروع السّابغة، وأنهم لا يَغْتَرُّون بالنّصر ولا يجزعون للهزيمة، وأنهم ذوو إقدامٍ في الحرب، لذلك لا يقع الطعن إلا في مقدّم رقابهم.

---

(١٣) شُمُّ العَرَانين : أنوفهم عالية من العزة والإباء، من نسج داود : كناية عن الدروع القوية. الهيجاء : الحرب. سرابيل : جمع سربال والمقصود به هنا الدرع.

(١٤) مجازيع : شديدو الجزع. نيلوا : هزموا.

(١٥) النحور : جمع نحر وهو موضع القلادة من أسفل العنق وأعلى الصدر، حياض الموت : ميادين الحرب. تهليل : فرار.

التعليق :

الشاعر ذو قدرة على نَسْج العبارة، فهو يختار الألفاظ القوية، ويوفق إلى متانة التركيب وتماسكه اتِّباعًا لمذهب أبيه في تنقيح شعره. وإذا أمعنت النظر في أبيات كعب وجدت فيها ما يلي :

١ ـ أن عاطفة الشاعر عظيمة الصدق والحرارة وهي عاطفة يمتزج فيها الخوف والرجاء والإعجاب.

٢ ـ في القصيدة تأثر بألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات الإسلام كما ترى في الأبيات (٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٠). وقد برع الشاعر في استعمال المعاني الجديدة التي تتصل بالدين كحديثه عن نافلة القرآن، وأن رسول الله ﷺ نور يستضاء به، وأنه مهند من سيوف الله، وهي براعة تدل على سرعة تَمَثُّله للمعاني، وقوة اقتداره على الإفصاح عما يريد.

٣ ـ تأثر الشاعر باعتذارات النابغة الذبياني في المعنى والصياغة، فقد أخذ البيت الخامس من قول النابغة الذبياني معتذرًا من ملك الحيرة :

نُـبِّـئْـتُ أَنَّ أَبَـا قَـابُـوسَ أَوْعَـدَنِـي ... وَلاَ قَـرَارَ عَـلَـى زَأْرٍ مِـنَ الأَسَـدِ

بل إنه بدأ البيتين السادس والسابع بما بدأ به النابغة، وفي هذا ما يوحي بالتصنُّع وإعداد القصيدة قبل إلقائها أكثر مما يوحي بالطبع والارتجال، ولعله متأثر في هذا بأبيه الذي كان من أصحاب الحوليات.

٤ ـ أجاد الشاعر في التقاط المعاني والصور الملائمة لموقف الاستعطاف فقد وصف حالته النفسيّة، ثم مدح رسول الله ﷺ ومدح المهاجرين من رفقته. ومن الصور المؤثرة ما تراه في الأبيات، (٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤).

المناقشة :

١ ـ هل يختلف نهج قصيدة كعب هذه عن نهج القصيدة الجاهلية ؟ أوضحُ ذلك.

٢ ـ يشير الشاعر في البيت الثالث إلى ركن من أركان الإيمان. فما هو ؟

٣ ـ لماذا يكرر كلمة رسول الله في البيت الخامس ؟

٤ ـ في القصيدة تأثر واضح بألفاظ القرآن الكريم ومعاني الإسلام. أورد أمثلة لذلك، ثم أبيِّنُ علام يدل استخدام تلك الألفاظ والمعاني ؟

٥ ـ ما الصفات والفضائل التي نسبها الشاعر للمهاجرين ؟

٦ ـ في أحد الأبيات وصف لما يسمى (الروح الرياضية) ألتقط البيت وأشرحهُ.

٧ ـ في البيت العاشر صورتان جميلتان أوضحهما.

٨ ـ ماذا يقصد الشاعر بقوله : (لا يقع الطعن إلا في نحورهم) ؟

٩ ـ أقارنُ بين البيت الأخير وبين قول الشاعر :

فَلسنا على الأعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تَقْطِر الدِّما

١٠ ـ قال كعب :

لا تَأْخُذَنِّي بأقوالِ الوشاةِ ولم ... أذنبْ ولو كَثُرتْ فيَّ الأقاويلُ

وقال النابغة منشئ فن الاعتذار :

لئن كنتَ قد بُلِّغت عَنِّي وشايةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ

أي البيتين أقرب إلى نفسي ؟ ولماذا ؟

٣ ـ الحطيئـــة

يـروي قصـة كـريـم

التعريف بالشاعر:

هو أبو مليكةَ جرولُ بن أوس بن مالك العبسيّ ولقبه الحطيئة ومعناه القصير الدميم. كان دعيًّا في نسبه، حتى لقد تخلّى عن نسبه مرارًا. وكان سفيهًا حاقدًا على المجتمع، حتى لقد هجا نفسه وأمّه وأباه وزوجته. وأكثر من هجاء سيد من سادات تميم اسمه الزِّبْرِقان بن بدر، فشكاه إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فسجنه مدة، غير أن الحطيئة نظم قصيدة مؤثرة استعطف بها عمر على أولاده، فأطلق سراحه ونهاه عن هجاء الناس. فقال الحطيئة : إذن يموت عيالي جوعًا، فاشترى عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، وفعلاً لم يهجُ الحطيئة أي إنسان طوال حكم عمر.

ولولا بذاءة الحطيئة وسوء سيرته لكان أشعر المخضرمين لأن طاقته الشعريّة جبارة ولو كان قد وجهها إلى الطرق الشريفة لتمكن من أن يخدم بها الإسلام أعظم الخدمات.

مناسبة النص:

من المعروف أن الحطيئة كان متكسبًا بشعره، محترفًا للتكسُّب، وهو هنا يروي قصةَ كرم مثالي ربما يكون الشاعر نفسه هو الضيف فيها، وربما كانت خيالية نسجها من قريحته لكي يرسم للناس مثلاً أعلى في الكرم ليحذوا حذوَه.

النـــص :

١ ـ وَطَاوِي ثَلاَثٍ عَاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ   بِبَيْدَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا

٢ ـ أخِي جَفْوَةٍ فِيهِ مِنَ الإِنْسِ وَحْشَةٌ   يَرَى البُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَاسَتِهِ نُعْمَى

٣ ـ وأفْرَدَ فِي شِعْبٍ عَجُوزًا إِزَاءَهَا   ثَلاَثَةُ أشْبَاحٍ تَخَالُهُمُ بَهْمَا

٤ ـ حُفَاةً عُرَاةً مَا اغْتَذَوْا خُبْزَ مَلَّةٍ   وَلاَ عَرَفُوا لِلْبُرِّ مُذْ خُلِقُوا طَعْمَا

٥ ـ رَأَى شَبَحًا وَسْطَ الظَّلاَمِ فَرَاعَهُ   فَلَمَّا رَأَى ضَيْفًا تَشَمَّرَ وَاهْتَمَّا

٦ ـ فَقَالَ : هَيَا رَبَّاهُ ضَيْفٌ وَلاَ قِرَى   بِحَقِّكَ لاَ تَحْرِمْهُ تَاللَّيْلَةَ اللَّحْمَا

٧ ـ فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَآهُ بِحَيْرَةٍ :   أَيَا أَبَتِ اذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طُعْمَا

٨ ـ وَلاَ تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ عَلَّ الَّذِي تَرَى   يَظُنُّ لَنَا مَالاً فَيُوسِعَنَا ذَمَّا

٩ ـ فَرَوَّى قَلِيلاً ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً   وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَاهُ فَقَدْ هَمَّا

١٠ ـ فَبَيْنَا هُمَا عَنَّتْ عَلَى البُعْدِ عَانَةٌ   قَدِ انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نَظْمَا

١١ ـ عِطَاشًا تُرِيدُ المَاءَ فَانْسَابَ نَحْوَهَا   عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا

١٢ ـ فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوَّتْ عِطَاشُهَا   فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا

---

(١) طاوي ثلاث : جائع ثلاث ليال. عاصب البطن : عصب على بطنه حزامًا من الجوع. مرمل : شديد الفقر. رسمًا : أثرًا للعمران.

(٢) أخي جفوة : ذي خشونة. الشراسة : سوء الخلق.

(٣) البهم : صغار الغنم. ثلاثة أشباح : يعني أولاده. الشعب : الطريق في الجبل.

(٤) خبز الملة : قرص يخبز في الرماد الحار.

(٥) راعه : أخافه. تشمَّر : استعد.

(٦) القرى : طعام الضيف. تالليلة : هذه الليلة.

(٧) طُعم : طعام.

(٨) العدم : الفقر. يوسعنا ذمًا : يكثر من سبنا.

(٩) أحجم : تقهقر.

(١٠) عنّت : لاحت. العانة : القطيع من حمر الوحش. مسحلها : فحلها.

(١١) انساب نحوها : توجه بحذر.

(١٢) الكنانة : جعبة السهام.

١٣ ـ فَخرَّتْ نَحُوصٌ ذَاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٌ قَد اكْتَنَزَتْ لَحْمًا وَقَدْ طَبَّقَتْ شَحْمَا
١٤ ـ فَيَا بُشْرَهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ قَوْمِهِ وَيَا بُشْرَهُم لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا يَدْمَى
١٥ ـ وَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ وَمَا غَرِمُوا غُرْمًا وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمَا
١٦ ـ وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبًا لِضَيْفِهِمُ وَالأُمُّ مِنْ بُشْرِهَا أُمَّا

الشـــرح :

هذا النص عبارة عن قصة شعرية تخيلها الحطيئة ليصوِّر معاني الكرم، ويبعث دوافعه في النفوس، والقصيدة تؤلف وحدة متماسكة تشتمل على ثلاث فقرات في كلٍّ منها فكرة رئيسة :

الفقرة الأولى تشمل الأبيات ١ ـ ٤ وموضوعها وصف لعيش الرجل الكريم وعائلته في الصحراء الموحشة.

الفقرة الثانية وتشمل الأبيات ٥ ـ ٩ وموضوعها مقدم الضيف وحَيْرة الرَّجل في قِراه إلى أن همّ بذبح ولده.

والفقرة الثالثة وتشمل الأبيات ١٠ ـ ١٦ وفيها حلٌّ للعقدة حين اصطاد الرجل إحدى بقر الوحش وجرّها إلى أهله وضيفه وبات الجميع على خير حال.

يقول الحطيئة عن ذلك الأعرابي الكريم : إنه أعرابي خشن العيش لم يذق الطعام من ثلاث ليال يعيش فقيرًا في صحراء لا أثر فيها للعمران، وهو لخشونته يستوحش من معاشرة الناس، ويرى عيش الحرمان في الصحراء نعمة جليلة. وقد أسكن في شعب منعزل زوجته وحولها أولاده الثلاثة كأنهم صغار الغنم فهم حُفاة عراة لا يعرفون الخبز ولا ذاقوا طعم البُرِّ.

وفي ليلة مُظلمةٍ رأى شبحًا مقبلاً، فخاف أول الأمر، ولكنه حين عرفه ضيفًا بدأ يستعد.

---

(١٣) نحوص : بقرة سمينة. اكتنزت : امتلأت. (ومثلها طبقت) وذات جحش : أي ذات ولد.

(١٤) كلمها : جرحها.

(١٥) غرموا : خسروا. الغنم : المكسب.

(١٦) بشاشته : فرحته.

وناجى ربَّه قائلاً : يا رباه هذا ضيف ليس عندنا قرًى له، فأدعوك بعظمتك ألاّ تحرمه هذه الليلة من اللحم. وهنا أقبل ولده فقال له : يا أبت اذبحني قِرًى للضيف. ولا تعتذر بالفقر، فلربما ظنَّ ضيفنا أننا ذوو مال، فَنَشَر ذمَّنا في الناس. وهنا بدأ الرجل يفكر، وهمّ أن يذبح ولده، وإذا الفَرَجُ القريب يلوح في الأفق حين بدا من بعيد قطيع من بقر الوحش كأنه العقد المنتظم يسير خلف قائده وكان القطيع ظمآن يريد الماء، فانْسَلَّ الرجل، وهو إلى دمها أظمأ منها إلى الماء، فأمهلها حتى شربت وملأت بطونها وثقلت حركتها في الجري، وعندئذ أطلق عليها سهمًا من جعبته. فسقطت بقرة هائلة سمينة، وكم كان سروره وسرورهم وهو يجرها إلى جماعته، وباتوا كرامًا، قضوا حقّ الضيف دون أن يخسروا، وكأن الرجل أبٌ للضيوف، والزوجة أمٌّ لهم.

التعليق :

نلاحظ في هذه القصيدة الخصائص التالية :

١ ـ الأسلوب قصصي رائع مشوِّق وتشتمل القصيدة على العناصر الفنيّة الجيدة وهي المقدمة التي حدَّدت المكان وصوَّرت الشخصيات، والعرض المنطقي المتسلسل، والعُقْدة التي تعقّدت حين همّ الرَّجل بذبح ولده، وحلُّ العقدة حين اصطاد الرجل بقرة الوحش.

٢ ـ ألفاظ القصيدة في غاية الجزالة والروعة والموسيقا العذبة، انظر إلى قوله : هيا رباه، أيا أبت اذبحني، عنّت على البعد عانة، انساب نحوها، وما غرموا غرمًا وقد غنموا غُنْما.

وهذه فقط مجرَّد أمثله، ولو درست ألفاظ هذه القصيدة لوجدت لكل لفظ من ألفاظها جزالته وقوته.

٣ ـ الصور الخيالية رائعة ومؤثرة، فالشاعر يصور عاطفته بريشة فنَّان، ومن الصور التي تستلفت النظر قوله : وطاوى ثلاث، عاصب البطن، وهما كنايتان عن شدة الجوع،

والصحراء لا يعرف فيها ساكن رسمًا، والأولاد كالبَهم، وهم حفاة عراة لا يعرفون الخبز، وقطيع بقر الوحش كالعقد النظيم، والأبُ في بشاشته وعطفه كالأب بالنسبة للضيوف، ومثله الأمُّ في أمومتها لهم وعطفها عليهم. وكل هذه الصور رائعة تدل على طول باع الشاعر في فنّه.

٤ ـ يبدو في القصيدة أثر التنقيح والرويَّة، ويظهر ذلك في الطريقة الرائعة التي ينتقي به الشاعر ألفاظه ويرتب بها معانيه، ولا عجب فالحطيئة من عبيد الشعر الذين عرفوا بتنقيح شعرهم ومراجعته قبل عرضه، من أمثال زهير بن أبي سلمى، وأوس بن حجر وغيرهما.

٥ ـ الظاهر أن الحطيئة قال هذه الأبيات في الجاهلية لأننا لا نكاد نلمح فيها أيَّ أثر لمصطلحات الإسلام وألفاظ القرآن ومعانيه.

المناقشة :

١ ـ ما الهدف الذي قصد إليه الشاعر في قصيدته ؟

٢ ـ ما الصورة المتكاملة التي رسمها الحطيئة لأسرة الأعرابي الكريم ؟ وما الأسلوب الذي سلكه فيه ؟

٣ ـ ما مدى تأثُّر الحطيئة بالألفاظ القرآنية والمعاني الإسلامية في هذه القصيدة ؟ ولماذا ؟

٤ ـ في الأبيات الثلاثة الأخيرة بيت من أروع الأبيات التي صورت عواطف الكرم. فما هو ؟ وما معناه ؟

٥ ـ أستخرجُ من النص ثلاث صور خيالية وأشرحها، وأبين أثرها في الأسلوب.

٦ ـ ما البيت الذي يصوِّر قمّة الأزمة في القصيدة ؟ وما البيت الذي أشرفت فيه طلائع الأمل ؟

٧ ـ ما الشخصيات التي دارت عليها أحداث القصة ؟ ومن أبرزهم دورًا ؟ ولماذا ؟

٨ ـ أكتب هذه الأبيات بأسلوبي الخاص نثرًا بطريقة الحوار، وأراعي عناصر القصة (المقدمة، العقدة، الحل).

النثر في عصر صدر الإسلام

كان الشعر في العصر الجاهلي موضع العناية وحده، فلما جاء القرآن الكريم أصبح موضع العناية بالدرجة الأولى وتطلب من يشرح معانيه، ويبين مقاصده وأدوات ذلك من النثر لا من الشعر، فَخَطب الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم خطبًا قوية، وراسلوا الملوك بكتب واضحة محددة، وكتبوا العهود والمواثيق، وتركوا الوصايا الحافلة بالنظرات الثاقبة.

والخطابة والرسائل أهم تلك الأنواع، إلا أن الخطابة أجلّ قدرًا، وأسمى منزلة، وأكثر تأثيرًا كما أنها النوع الأدبي الشامل. ولذا فسوف نبدأ بها.

١ - الخطابة

عوامل ازدهار الخطابة في هذا العصر:

في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم علا شأن الخطابة وازدهر، فنهضت نهضة قوية، وتبوَّأت منزلة رفيعة. ونفخ فيها الإسلام من روحه، فأمدّها بألفاظه ومعانيه ومقاصده العظيمة. وقد كان النبي ﷺ وخلفاؤه وكبار الصحابة والقادة خُطباء زانوا المنابر وهزوا بالبلاغة أوتار القلوب.

وترجع أسباب نهضة الخطابة في هذا العصر إلى جملة عوامل أهمها ما يلي :

١ - أنها أصبحت لسان الدعوة الإسلامية ووسيلة نشرها، فهي أكثر مرونة من الشعر في تحمُّل المعاني، وليس من السهل أن نودع الشعر حججًا وبراهينَ ومناقشاتٍ لأنه مقيد بالأوزان والقوافي، أما الخطابة فهي لا تعجز عن ذلك.

٢ - أن الإسلام شجّع الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل الخطابة البليغة من شعائره في الجمعة والعيدين، وفي يوم الحج الأكبر، فأصبح الخلفاء والقادة والأمراء خطباء بالضرورة؛

لأنهم مضطرون لأن يقفوا أمام الجماهير في كل جمعة وعيد ومناسبة.

٣ - استُعملت الخطابة في تحميس الجنود في معارك الفتوحات، ومن المعروف أن العصر الإسلامي كان عصر فتوحات، ومعارك خالدة، كمعركة القادسية واليرموك وغيرهما، وكان الأبطال يخطبون إبان المعارك لإثارة روح الجهاد.

٤ - ثارت الفتن السياسيّة والدينية مُنذ مقتل عثمان - رضي الله عنه - وتشعَّبت المذاهب والمعتقدات والفرق، فكان لكل منها خطباء ينشرون دعايتها ويرفعون صوتها.

أنواع الخطابة:

للخطابة في عصر صدر الإسلام أربعة أنواع هي:

١ - الخطابة الدينية: كخطب الجمعة والعيدين ويوم عرفة، وخطب الوعظ والإرشاد.

٢ - الخطب السياسية: كخطب علي - رضي الله عنه - في أعقاب التحكيم.

٣ - خطب المعارك: كخطب الأبطال التي روتها الكتب إبان المعارك، وخاصَّة يوم اليرموك.

٤ - خطب الوفود: وهي الخطب التي كان يلقيها رؤساء القبائل والوافدون على النبي ﷺ، وعلى الخلفاء من بعده للمبايعة أو الشكوى.

خصائص الخطابة:

إذا تأملت النُّصوص الخطابيَّة، رأيت فروقًا واضحة بين الخطابة الجاهلية والخطابة الإسلامية، فقد أصبحت الخطب أقوى نسجًا وأكثر تماسكًا وقويت الروابط المعنوية بين أجزائها، فلم تعد حِكَمًا وأمثالاً تُنْثَر دونما روابط.

وتتميز الخطابة في عصر صدر الإسلام بالخصائص الفنيَّة الآتية:

١ - أصبحت جميع الخطب تُفْتَتح بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه، ولم يكن لأي

خطيب أن يشذَّ عن هذه الخاصيّة المتعارف عليها.

٢ ـ ظهر أثر القرآن الكريم والإسلام واضحًا في الخُطب، فقلَّ أن نرى خُطبة لم تُوَشَّحْ بآي الذكر الحكيم وحديث الرسول الكريم ﷺ .

٣ ـ أصبحت ألفاظ الخطابة الإسلامية أكثر رقة وعذوبة وأهدأ موسيقا وأحسن ملاءمة للمعاني.

٤ ـ أصبحت الخطبة الإسلامية متماسكة الأجزاء، تكاد تدور حول موضوع واحد بعد أن كانت في الجاهلية فقرات متقطعة.

٥ ـ قلّ السجع في الخطب الإسلامية، إلا ما جاء عفواً، وهو سجع في غاية الجمال والأصالة، كما في قول رسول الله ﷺ في خطبة الوداع : لكم عليهنَّ ألاَّ يوطئن فُرُشكم غيركم، ولا يُدْخِلْنَ أحدًا تكرهونه بيوتكم. وكقول علي رضي الله عنه : يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون.

٦ ـ أصبحت معاني الخطابة وأهدافها ومقاصدها سامية تدور كلُّها في فلك الدعوة إلى الإيمان والفضائل والجهاد.

٧ ـ اغْتَنَتْ الخطابة بالحجة والبرهان المستمدين من الإسلام؛ لأنها تخاطب العقول أكثر مما تخاطب العواطف، وترمي إلى القناعة المنطقية، ليكون تبني المبادئ أكثر عمقًا في النفوس.

نماذج من الخطابة في عصر صدر الإسلام

خطبة لرسول الله ﷺ بعد معركة حنين

مناسبة الخطبة :

لما انتصر النبي ﷺ في معركة حُنَين وهزم قبيلتي هوازن وثقيف، جمع الفيء والغنائم، فازدحم على الغنائم أهلُ مكة ممن دخلوا في الإسلام حديثًا، وتزاحم المؤلّفة قلوبهم من أمثال أبي سفيان زعيم قريش، والأقرع بن حابس زعيم تميم، وعُيينة بن حصن زعيم فزارة، فوزّع النبي ﷺ جميع الغنائم على قريش وقبائل العرب، ولم يقسم للأنصار منها شيئًا فوجد الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة.

وقال بعضهم : لقي رسولُ الله قومَه (أي فرح بلقائهم بعد غيبته الطويلة عنهم، فخصّهم بالغنائم) ثم دخل على النبي ﷺ زعيم الخزرج سعد بن عبادة - رضي الله عنه - فأبلغه تألُّم الأنصار ومَوْجِدَتهم. فأمر النبي ﷺ، فاجتمعوا رضي الله عنهم في مكان واحد، ثم ألقى فيهم هذه الخطبة التي اخترنا معظمها.

النص :

«يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، مَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْني عَنْكُمْ وَمَوْجِدَةٌ(١) وَجَدْتُموهَا في أنْفُسكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَداكُمُ اللّه ؟ وَعَالَةً(٢) فَأَغْناكُمُ اللّه ؟ وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلوبِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى لِلَّهِ ولِرَسُولهِ الْمَنُّ والفَضْل.

---

(١) موجدة : ألم وغضب. (٢) عالة : فقراء.

فَقَالَ : أَلاَ تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ؟ قالوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالفَضْلُ. قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَّقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ : أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً(١) فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ(٢). وَجَدتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لَعَاعَةٍ(٣) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ(٤) إِلَى إِسْلاَمِكُمْ ؟ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الهِجْرَةُ(٥) لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا(٦) وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ.

فَبَكَى القَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا(٧) لِحَاهُمْ وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحَظًّا».

التعليق :

كان رسول الله ﷺ ينوِّع أسلوبَ الدعوة إلى الإسلام على حَسَب حالة المَدْعوّ، فحديثي العهد بالإيمان من المؤلفة قلوبهم، كان يغريهم بالمال، أمّا المؤمنون الصادقون فكان يمنّيهم الآخرة وثواب الله. ولهذا أعطى الغنائم لحديثي العهد بالإيمان ووَكَل الأنصار إلى إسلامهم.

وهذه الخطبة خِطابٌ للعواطف المؤمنة مناسبٌ جدًّا لحال المخاطبين، فلقد لجأ النبي ﷺ إلى

---

(١) مخذولاً : متروكًا بلا نصير.

(٢) آسيناك : أنلناك من أموالنا.

(٣) لعاعة : جرعة.

(٤) وكلتكم إلى إسلامكم : تركتكم معتمدًا على إسلامكم.

(٥) لولا الهجرة : لولا ثواب الهجرة إلى الله ورسوله.

(٦) شعبًا : واديًا.

(٧) أخضلوا : بلوا.

أسلوب الاستفهام البليغ ليحدث بينه وبين الأنصار تجاوبًا فكريًّا وعاطفيًّا، وبطريقة رائعة ذكّرهم بفضل الدعوة الإسلامية عليهم، وكيف أنقذتهم من ظلمات الشرك والعداوة، إلى أنوار الإيمان والهدى والإخاء. ولكنه عاد فذكر أفضال الأنصار عليه بأسلوب طريف يزينه الاعتراف. وأخيرًا أشاد بعظمة الأنصار ومنزلتهم في نفسه، حتى إذا طابت نفوسهم أعلن لهم أنهم كسبوا أكثر من أصحاب الغنائم. كسبوا رسول اللّه ﷺ وبلغ قمة الإقناع وهو يَسْتَفْهِم منهم في حُنوٍّ ومحبّة : ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون أنتم برسول الله إلى رحالكم ؟ فلا عجب أن بكى الأنصار، وبلّوا بالدموع لحاهم؛ لأن النبي ﷺ كان يعرف ببلاغته حقيقة قلوب الأنصار، فخاطبها بالأسلوب الذي يلائمها.

المناقشة :

١ ـ ما الاستفهامات البليغة التي وجهها النبي ﷺ إلى الأنصار ؟ وبم أجابوا عنها ؟

٢ ـ ما الجواب الذي كان من حق الأنصار أن يجيبوه ؟ ولماذا لم يفعلوا ؟

٣ ـ ما معنى قوله ﷺ : لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ؟

٤ ـ لماذا لم يُقم النبي ﷺ بمكة عند أقاربه بعد الفتح ؟

٥ ـ لو خطب النبي ﷺ مثل هذه الخطبة مخاطبًا بها أبا سفيان والمؤلفة قلوبهم، فهل يكون لها هذا الأثر ؟ ولماذا ؟

٦ ـ عُرِّفت البلاغة بأنها مطابقة الكلام لحال المخاطبين. أوضح مدى انطباق هذا التعريف على هذه الخطبة.

(٢) من خطبة الوداع

لرسول الله ﷺ

مناسبة الخطبة:

حجّ النبي ﷺ حجته الوحيدة في السنة العاشرة للهجرة، واستصحب معه جميع أهله وأصحابه، وانضمَّ إليهم خَلْقٌ كثير حتى احتشد في الموسم أكثر من مِئَةِ ألف، وفي يوم الحجّ الأكبر وقف النبي ﷺ يخطب الناس وفي كلامه لهجة المودّع، الموقن بقرب الأجل، ولهذا كان يسأل الناس عقب كل مقطع قائلاً : ألا هل بلّغت ؟ ثم يقول اللهم اشهد. ولأن النبي ﷺ توفي بعدها بثلاثة أشهر، فقد سُمِّيت خطبة الوداع.

النص:

«أمَّا بَعْدُ : أيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعوا مِنِّي أُبيِّنْ لَكُمْ، فإني لاَ أدْرِي لَعَلِّي لا ألْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فِي مَوْقِفِي هَذَا.

أيُّهَا النَّاسُ : إنَّ دماءَكُمْ وأمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إلى أن تَلْقَوْا ربَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا. ألاَ هَلْ بَلّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا.

وَإِنَّ رِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ[١]، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤوسُ أمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ قَضَى اللَّهُ أن لا رِبَا، وإنَّ أوَّلَ رِبًا أبْدَأُ بِهِ رِبَا عَمِّيَ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب. وإنَّ دماءَ الجَاهِلِيَّةِ[٢]

---

(١) موضوع : ملغى.
(٢) دماء الجاهلية : دماء القتلى الذين قتلوا في الجاهلية.

مَوْضُوعَةٌ... وإنَّ مآثِرَ[١] الجَاهلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيرَ السِّدَانَة والسِّقَايَة[٢] والعَمْدُ قَوَدٌ[٣]، وشِبْهُ العَمْدِ مَا قُتِلَ بالعَصَا والحَجَرِ، وفِيه مئةُ بَعِيرٍ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَاهلِيَّة.

أيُّهَا النَّاسُ : إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أنْ يُعْبَدَ في أرْضِكُمْ هذه، ولَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مما تُحَقِّرُونَ مِنْ أعْمَالِكُمْ.

أيُّهَا النَّاسُ : إنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، ولَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ ألاَّ يُوَطِّئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ، ولاَ يُدْخِلْنَ أحدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إلاَّ بإِذْنِكُمْ، ولاَ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ. فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أنْ تَعْضُلُوهُنَّ[٤]، وَتَهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ، وتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[٥]، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، واسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا. ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

أيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِئٍ مَالُ أخِيهِ إلاَّ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ. ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ[٦]، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي. ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد.

أيُّها النَّاسُ : إنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُمْ واحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَمَ، وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، ولَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أعْجَمِيٍّ فَضْلٌ إلاَّ بالتَّقْوَى. ألاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ».

---

(١) مآثر : ماكانوا يتوارثونه من عادات وتقاليد.

(٢) السدانة والسقاية : حراسة البيت وخدمته، وإسقاء الحجيج.

(٣) العمد قود : أي القتل العمد يجيب فيه القصاص.

(٤) تعضلوهن : تضيقوا عليهن.

(٥) غير مبرح : غير شديد.

(٦) أي تعودون للغارات والسلب كما كنتم في الجاهلية.

التعليـــق:

هذه الخطبة الكريمة على إيجازها تضمّنت من الأحكام ما يضعُ الأسس القويّة لبناء المجتمع المسلم القوي الصالح المتعاون. الذي يسوده الأمن وتجمِّله الفضائل والأخلاق. ولقد كان لهذه الخطبة أثرها، لأنها ألقيت في جموع الحجيج في يوم الحج الأكبر، وكانت تلك سُنَّةً كريمة شرعها الرسول الكريم ﷺ. وإذا استغلّها أئمة المسلمين في كل زمان في موسم الحجّ فإنّها تحقق للإسلام فوائد عظيمة.

وقد اشتملت خطبة الوداع على الأحكام والآداب الآتية :

١ ـ حُرْمة الأموال والدماء وقداستها، فمن أكل مال مسلم أو سفك دمه، فكأنما انتهك حرمة يوم عرفة في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام.

٢ ـ وجوب أداء الأمانات إلى أهلها.

٣ ـ إلغاءُ الربا وثارات الجاهلية وتراثها غير خدمة البيت الحرام وسقاية الحجيج.

٤ ـ أن القاتل عمداً يُقتَل، والقتل شبه العمد يكون بأداة غير حادة، وفيه دية مغلّظة وهي مِئَةٌ من الإبل.

٥ ـ أنّ ترك الشرك وحده لا يكفي، وإنما يجب أن يترك المؤمن سائر الذنوب.

٦ ـ على الرجال أن يقوموا بحقوق النساء وأن تقومَ النساءُ بحقوق الرجال.

٧ ـ الحثّ على وحدة الكلمة والصّف لأن الفرقة كفر.

٨ ـ وجوب الاعتصام بكتاب الله مهما فشا في العالم الضَّلال.

٩ ـ تأكيد معنى الإخاء والمساواة بين الناس عامّة والمؤمنين خاصة، فلا عنصرية ولا تفاضُل إلا بالتقوى.

وتُعدُّ خطبة الوداع من أعظم الخطب في أدبنا، وقد امتازت بما يأتي :

أ - الإيجاز البليغ، الذي يجمع المعاني العظيمة الواسعة في الألفاظ القليلة.

ب - لهجة المودّع، فقد افتتحها ﷺ بما يوحي أنه قد يموت فلا يلقاهم بعد عامه ذلك. وكان بين الآونة والأخرى يُشهِد الله على أنّه بلّغَ الرسالة بعد أن يسألهم : ألا هل بلّغت ؟

جـ - البساطة في الألفاظ، وذلك لأن الخطبة تعليمية والأسلوب التعليمي يجب أن يخلو من الصعوبة والتعقيد والتكلف.

د - حلاوة النغمة وجمال التقسيم في الجمل، مع وقوع بعض السجع في غير تكلُّف أو إكثار.

هـ - الاستفادة الواضحة من ألفاظ القرآن الكريم، ومن معانيه العظيمة ومقاصده الكريمة فقوله ﷺ : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» هو ترديد للآية : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1] وجميع الأحكام التي أوردها ما هي إلا صدى لصوت القرآن الكريم.

و - التكرار البليغ الذي يهدف إلى التأكيد والإقناع الملزم، لكي يقفل باب اللجاج، ولكيلا يكون للناس حجة.

المناقشة :

١ - لماذا سُمِّيت خطبة الوداع بهذا الاسم ؟

٢ - ما البداية المؤثرة التي بدأ بها النبي ﷺ خطبته ؟ ولماذا اختار هذه البداية ؟

٣ - كيف عبّر النبي ﷺ عن قداسة أموال المسلمين وحرمتها ؟

٤ - لماذا اختار ربا العباس بن عبدالمطلب ليكون أول ربًا مُلغى ؟

٥ - كرّر الرسول ﷺ ألفاظًا بعينها عقِب كل عبارة. أحددُ هذه العبارات، وأبيِّنُ هدف التكرار.

---

(١) سورة الحجرات.

٦ ـ تظهر بعض عبارات القرآن الكريم واضحة في الخطبة. أذكرُ ما يدل على ذلك.

٧ ـ ما معنى قول النبي ﷺ : «لا ترجعُنَّ بعدي كُفَّارًا»؟ ولماذا يشبه النزاع والشقاق بالكفر ؟

٨ ـ ما مقياس الكرامة، كما رسمه النبي ﷺ في نهاية الخطبة ؟ وكيف أثبت النبي ﷺ أن الناس سواسية ؟

٩ ـ ما الأمر الذي لا يضلُّ المسلمون ما تمسكوا به ؟

(٣) خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعد توليه الخلافة

مناسبة الخطبة :

هذه الخطبة الموجزة هي أوّل خُطبة ألقاها أبوبكر - رضي الله عنه - بعد تولّيه الخلافة وهي على اختصارها تضع أعظم أساس للعلاقة بين الحاكم والرعيّة.

النص :

«أيُّهَا النَّاسُ : إنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فإنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى حقٍّ فَأعِينُونِي، وَإنْ رَأيْتُمُونِي عَلَى بَاطِلٍ فَسَدِّدُونِي[١]. أطِيعُونِي مَا أطَعْتُ اللَّهَ فِيكُمْ، فَإذَا عَصَيْتُهُ فَلاَ طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، ألاَ إنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِيَ الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ لَهُ، وَأضْعَفَكُمْ عِندِيَ القَوِيُّ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ».

التعليق :

يُدْهِشك في هذه الخطبة هذا الإيجاز البليغ الذي يستعمل الكلمة، فيمتد ظلالها إلى بعيد، ويُودِع العبارة القصيرة من المقاصد العظيمة ما يحتاج في شرحه إلى كتاب.

إن أعظم أُسُسِ الشورى تُرسَى هنا، والحاكم المسلم، كما يمثله أبوبكر الصديق يمتاز بأعظم ما يتحلّى به الحاكم العادل الرشيد :

---

(١) سدّده : قوّم اعوجاجه.

١ ـ فهو يعتقد أنه ليس أفْضَل المسلمين وأن في المسلمين من هو أفضل منه، وهذا الاعتقاد يبعد به عن طبيعة الاستبداد والطغيان، ويجعله أبدًا متواضعًا لشعبه متقبّلاً منهم مشورتَهم وآراءَهم البنَّاءَة.

٢ ـ وفي قوله : فإن رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني يفتح هذا الخليفة الراشد للمسلمين باب النقد والثناء على مصراعيه، فهو يطلب تشجيعه لدى الإحسان وإرشادَه إلى السّداد لدى الخطأ.

٣ ـ أما كلامه عن مقياس القُوَّة والضعف، فأروع ما يمكن أن يتمخَضَ عنه الضمير الحيّ المنصف، لأنه يعلم أن أقوى الناس عنده هو الضعيف المظلوم، وأن أضعف الناس عنده هو القوي الظالم، إلى أن يعود للأول حقُّه، ويتخلّى الثاني عن باطله. هنالك يعودان في منزلة واحدة من المساواة.

المناقشة :

١ ـ يؤسِّس أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ في هذه الخطبة مبدأ هامًّا من أسس الحكم. فما هو ؟ وكيف دعا إليه ؟

٢ ـ مَنِ القوي ؟ ومَنِ الضعيف عند أبي بكر رضي الله عنه ؟ ولماذا ؟

٣ ـ « إنَّما الطاعةُ في المعروف » ألتقط من الخطبة ما يتوافق مع هذه القاعدة الإسلامية الجليلة.

٤ ـ من أي أنواع الخطابة الإسلامية تكون خطبة الصديق رضي الله عنه ؟

٥ ـ ما أبرز سمات أسلوب الخطابة ؟

٦ ـ إذا قيل : إن خطبة الصديق ـ رضي الله عنه ـ من جوامع الكلم، فلماذا ؟ وما الأفكار التي اشتملت عليها ؟

(٤) خطبة علي رضي الله عنه

في الحثّ على الجهاد

مناسبة الخطبة:

في خلافة علي - رضي الله عنه - بلغه أن خيلاً قد أغارت على مدينة الأنبار وقتلت أميرها، ودخل الرُّعاع من الجنود الدور، فنهبوا حُليَّ النساء المسلمات والمعاهدات، ثم عادت الكتيبة الغازية دون أن تلقى مقاومة تذكر، أو تصاب بأي أذى. فلما بلغ الخبر عليًّا - رضي الله عنه - خرج غاضبًا، وألقى هذه الخطبة وهو يكاد يتفجَّر من الأسى والغضب. ومن هنا كانت هذه الخطبة من أشدّ خطب علي - رضي الله عنه - لهجة وتأثيرًا وجَرْسًا. ونحنُ نورد معظمها مُقسّمًا إلى ستٍّ فقرات :

النص:

١ - «أمَّا بعْدُ، فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أبْوَابِ الجَنَّة، فَتَحَهُ اللَّه لِخَاصَّة أوْلِيَائه، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّه الحَصِينَة، وَجُنَّتُهُ[١] الوَثِيقَة، فَمَنْ تَركَهُ رَغْبَةً عَنْهُ ألْبَسَهُ اللَّهُ ثَوبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلاءُ، ودُيِّثَ بِالصَّغَارِ[٢] والقَمَاءَةِ، وضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالأسْدَادِ[٣]، وأُديلَ الحَقُّ مِنْهُ[٤] بِتَضْيِيعِ الجِهَاد، وسِيمَ الخَسْفَ[٥]، ومُنِعَ النَّصَفَ[٦].

٢ - ألاَ وإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى قِتَالِ هَؤلاءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَارًا، وسرًّا وإِعْلانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ :

---

(١) جُنَّة : وقاية. الوثيقة : المنيعة.

(٢) دُيِّث : ذلل. الصَّغار والقماءة : الذل والضعة.

(٣) ضرب على قلبه بالأسداد : سدت عليه الطرق وعميت مذاهبه.

(٤) أديل الحق منه : ضاع.

(٥) سيم الخسف : نزل به الذل.

(٦) مُنِعَ النَّصَف : حرم العدل.

اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يغزُوكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ دَارِهِمْ[١] إلاَّ ذلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ[٢] حتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، ومُلِكَتْ عَلَيكُمُ الأَوْطَانُ.

٣ ـ ولَقَدْ بَلَغَنِي أنَّ الرَّجُلَ منْهُم كَانَ يَدْخُلُ على المَرْأة المُسْلِمَة، والأخْرَى المعَاهَدَة، فَيَنْزِعُ حِجْلَهَا وقُلْبَهَا[٣]، وقَلاَئدَهَا ورِعَاثَهَا[٤]، مَا تُمْنَعُ منْهُ إلَّا بالاسْتِرْجَاع[٥] والاسْتِرْحَام، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِين، وَمَا نَالَ رَجُلاً منْهُمْ كَلْم[٦]، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَم. فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا.

٤ ـ فَيَا عَجَبًا واللّه يُمِيتُ القَلْبَ، وَيَجْلِبُ الهَمَّ؛ اجْتِمَاعُ هؤلاءِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وفَشَلُكُمْ[٧] عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا[٨] حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا[٩] يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْن وَلاَ تَغْزُون، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَوْن.

٥ ـ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ في أيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ : هَذِهِ حَمَارَّةُ القَيْظِ[١٠]، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الحَرُّ، وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ في الشِّتَاء قُلْتُمْ : هَذِهِ صَبَارَّةُ القُرِّ[١١]، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا البَرْد، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الحَرِّ والقُرّ، فَأَنْتُمْ واللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرّ.

٦ ـ يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَال، حُلُومُ الأَطْفَال[١٢]، وعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَال[١٣]، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ، مَعْرِفَةٌ واللّه جَرَّتْ نَدَمًا، وأَعْقَبَتْ سَدَمًا[١٤]، قَاتَلَكُمُ اللّهُ، لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وشَحَنْتُمْ[١٥] صَدْرِي غَيْظًا، وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ[١٦] أَنْفَاسًا، وأَفْسَدْتُمْ

---

(١) عقر الدار : وسطها. (٢) تخاذلتم : خذل كل منكم الآخر. (٣) الحجال : الخلاخيل. القُلْب : السوار.
(٤) الرعاث : الأقراط. (٥) الاسترجاع : قول إنا لله وإنا إليه راجعون. (٦) الكَلْم : الجرح.
(٧) فشلكم : جبنكم. (٨) ترحًا لكم : يدعو عليهم بالمصائب. (٩) الغرض : الهدف.
(١٠) حمارَّة القيظ : شدة الحر. (١١) صبارَّة القر : شدة البرد. (١٢) حلوم : عقول.
(١٣) ربات الحجال : كناية عن النساء. (١٤) السدم : الهم والأسف.
(١٥) شحنتم : ملأتم. نغبة : جرعة. (١٦) التهمام : الهم.

عَليَّ رَأْيِي بالعِصْيَان والخِذْلاَن، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْش : إنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ، لله أبُوهُمْ ! ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهضْتُ بِهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِيْنَ، وهَأَنَذَا قَدْ نَيَّفْتُ عَلَى السِّتِّين، ولَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَن لا يُطَاع».

التعليــق :

النَّصُّ الذي أثبتناه من الخطبة ست فقرات تشتمل على ست فكر رئيسة :

١ ـ عِظم شأن الجهاد في سبيل الله وكيف أنه باب من أبواب الجنة يلجهُ أولياء الله، وكيف أن ترك الجهاد يعقب أمورًا خطيرة، ويعقبُ الذّل والمهانة ووقوع الظلم.

٢ ـ تذكير لرعيته بما كان أَمَرَهم به من صائب الرأي، وأنهم لو تكاسلوا هاجمهم العدو.

٣ ـ إخبارهم بما كان من إغارة تلك الخيل على الأنبار، والفظائع التي اقترفتها هناك، وما كان من عودتها إلى قواعدها سالمة.

٤ ـ إظهار الأسف والعجب لهذا الوضع المخجل الذي جعل أصحاب عليّ هدفًا للغارات، وذلك لسبب واحد هو التفاف عدوّهم حول باطله وتفرقهم هم من حول حقهم.

٥ ـ فضح ما كان من مواقف أصحابه وقعودهم عن الجهاد والتستُّر وراء المعاذير الكاذبة، كالحر والبرد.

٦ ـ توبيخ عنيف لأصحابه على ما كان من عصيانهم ومخالفتهم، وكيف أن كثرة تمردهم على الأوامر أثارت الشكوك حول قائدهم البطل.

وبتأمل الخطبة يتّضحُ لنا الخصائص التالية :

١ ـ ألفاظ علي ـ رضي الله عنه ـ ذات موسيقا مؤثرة، وهي ألفاظ منتقاة ينظمها في عبارات رائعة التقسيم، يقع فيها أحيانًا سجعٌ جميلٌ غير مُتَكَلَّف.

٢ ـ ظهور أثر الثقافة الواسعة في كلامه رضي الله عنه، الثقافة القرآنية، والثقافة اللغوية فهو إلى جانب استشهاده بالقرآن الكريم وأحكام الدين يستعمل الأمثال والحِكَم، وقد يتمثّل بالشعر. فمن الحكم التي وردت في خطبته قوله : ما غُزِي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا. وقوله : لا رأي لمن لا يطاع...

٣ ـ خطبة علي ـ رضي الله عنه ـ كل لا يتجزأ؛ لأن مصدرها شخصية منسجمة في أفكارها وعواطفها وميولها، تهيمن عليها مبادئ واحدة تحدِّد اتجاهها، وترسم طريقها، وتملي عليه سلوكها.

٤ ـ تدرجه من اللين إلى العنف، فقد بدأ هادئًا نسبيًّا وهو يتحدث عن الجهاد وفضله، ثم اندفع كالبركان الثائر حين تعرَّض لقصة الخيل التي أغارت على الأنبار، حتى بلغ ذروة العنف حين رمى أصحابه بأوصاف النساء والأطفال. وهذه الخاصيّة في استعمال العنف نقلها عنه ـ فيما بعد ـ خطباء العصر الأموي وبالغوا فيها، كالحجاج وزياد.

٥ ـ قدرته ـ رضي الله عنه ـ على إثارة الحماسة بوسائله البلاغية المختلفة، فكلامه يبعث الغضب حتى في قلب الجبان، خصوصًا وهو يتحدث عن استباحة النساء وصراخهن واسترجاعهن، وكيف تمكن الجيش الغازي من استباحة الحرمات وقتل أمير الأنبار، وعادوا غانمين سالمين لم يمسهم سوء.

المناقشة :

١ ـ ما منزلة الجهاد عند الله تعالى كما صوّرها علي رضي الله عنه ؟

٢ ـ ما المصير المظلم الذي ينتظر كلّ من ترك الجهاد كراهية له ؟ أوضحه كما ذكره رضي الله عنه.

٣ ـ في الفقرة الثانية حكمة عسكرية تتعلق بزمام المبادرة في الهجوم، أذكرها.

٤ ـ لِمَ ذكر رضي الله عنه النساء المسلمات والمعاهِدات في هذا المقام ؟

٥ ـ أَذكرُ العباراتِ التي بلغ فيها عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ قمّة العنف.

٦ ـ ما التهمة التي يرفضها عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وينفيها عن نفسه ؟ وكيف أثبت كذبها ؟

٧ ـ يظهر في كلامه ـ رضي الله عنه ـ أثر الثقافة الأدبية. أوضحُ هذا القول وأورد من كلامه ما يؤيد ذلك.

٨ ـ يقع السجع أحيانًا في كلام علي رضي الله عنه. أورد ثلاثة مواطن من سجعه وأوضح طبيعة هذا السجع من حيث العفوية أو التكلُّف.

٩ ـ يستعمل عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ ألفاظًا غريبة وألفاظًا مترادفة. أستخرج من القطعة خمسة ألفاظ غريبة وأربعة من المترادفات. ثم أوضّح علام يدلُّ استعماله للغريب والمترادف.

١٠ ـ ما اللهجة السائدة في الخطبة ؟ وهل هي مناسبة للمقام أم لا ؟ ولماذا ؟

١١ ـ أوضحُ الصورة في قوله : « ألبسه الله ثوب الذل ».

٢ - الرَّسائل

نشأة الكتابة العربية:

كانت الكتابة موجودة قبل الإسلام ولكنها قليلة جدًّا، فلم يكن يعرفها إلا النَزْر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر رجلاً من قريش خاصة. فلما انتصر الرسول ﷺ على قريش في يوم بدر أسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب، فقبل الرسول ﷺ أن يفتدي كل منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة، فكثر سواد الكاتبين، وانتشرت الكتابة بعد ذلك في العرب.

وكان النبي ﷺ وخلفاؤه رضي الله عنهم يُملون كتبهم على كتَّابهم بعباراتهم، وبعضهم يكتبها بيده. فلما اتسعت رقعة الدولة كان لابد أن يُعتمد على الرسائل بينها وبين عمالها في الأمصار، وكانت تدور حول شؤون الحكم والإدارة، وشرح بعض مبادئ الدين، ثم أصبحت الحاجة مُلِحّة إلى إنشاء الدواوين لضبط موارد الفيء، وكان عمر - رضي الله عنه - أول من دوَّنها، وكان كتّاب الرسائل يكتبون بالعربية أما كتّاب الخراج فكانوا يكتبون بلغة أهل الإقليم، حتى حذقها العرب فحولت كلها إلى العربية في عهد عبدالملك بن مروان.

خصائص أسلوب الرَّسائل:

تميز أسلوب الرسائل بالإيجاز والاقتصار على ما يؤدي المعنى ويوضّحه دون مبالغة أو تهويل أو زخرفة، فالألفاظ محدَّدة واضحة، إذ لم يكن من شأن الكتاب أن يكثروا القول تزيُّدًا أو مباهاة، ولكن كان من شأنهم أن يفصحوا عن خواطرهم بوضوح تام، ولذا لم يكن هناك تَفَنُّن في البدء والختام، فكانت أشبه بالبرقيات في العصر الحاضر، حتى جاء عبدالحميد الكاتب آخر الدولة الأموية فأسهب فيها، وأطال التحميدات في أوّلها، وسلك طريقه من أتى بعده.

نمـاذج من الرَّسـائـل :

١ ـ رسـالـة النبـي ﷺ إلـى النجـاشـي :

«من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة :

سِلْمٌ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ المَلِكَ القُدُّوسَ السَّلاَمَ المُؤمِنَ المُهَيْمِنَ ، وأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَحَمَلَتْهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخِهِ كَمَا خَلَقَ آدمَ بِيَدِهِ وَنَفْخِهِ ، وإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نُصْحِي ، والسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى».

٢ ـ وأرسـل رسـالـة إلى كسـرى فقـال :

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس :

سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدى وآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أن لا إِلَهَ إلاَ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وأَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ . فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ المَجُوسِ عَلَيْكَ».

التعليــق :

عندما ننظر في هاتين الرسالتين اللتين أرسلهما الرسول ﷺ إلى ملكي الحبشة وفارس يدعوهما إلى الإسلام نجد أنهما تمتازان بالإيجاز الشديد فليس فيهما إطالة، لسبب واحد فهو يريد منهما أن يشهدا أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، ولهذا ـ أيضاً ـ تميزتا بالوضوح التام، فجاءتا أشبه بالبرقيات في عصرنا الحاضر، التي تهدف إلى إيصال معنى محدد، دون أن تكون هناك ألفاظ زائدة عليه.

المناقشة :

١ ـ ما الأسباب التي أدت إلى ازدهار الخطابة في عصر صدر الإسلام ؟

٢ ـ أذكر مثالاً لكل من الخطابة الدينية، والسياسية، والحربية.

٣ ـ أصبحت الخطابة في عصر صدر الإسلام متماسكة الأجزاء، فما السبب ؟

٤ ـ لماذا أصبحت الحاجة مُلِحَّة إلى وجود الرسائل في عصر صدر الإسلام ؟

٥ ـ بم كان يتميز أسلوب الرسائل في هذا العصر ؟

٦ ـ ما الغرض الذي من أجله أرسل الرسول ﷺ رسالتيه إلى النجاشي وكسرى ؟

عَصْرُ بني أميــة

الحيـاة السيـاسيـة والاجتمـاعيـة والعـقليـة

١ ـ الحيـاة السياسيـة :

ابتدأ العصر الأموي بِتَولِّي معاوية ـ رضي الله عنه ـ الخلافة سنة ٤٠هـ وانتهى سنة ١٣٢هـ بسقوط الدولة الأموية على يد بني العباس، وبهذا يكون العصر الأموي قد امتدَّ قُرَابة تسعين سنة، وكان الخلفاء في مطلع الدولة أقوياء، وبخاصة معاوية ومروان بن الحكم وابنه عبدالملك، وأحفاده الوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز ولكن جاء بعد هؤلاء خلفاء ضعفاء فكان ذلك سببًا من أسباب سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسيين بقيادة أبي مسلم الخراساني.

وقد تميّز العصر الأموي بالانقسامات الحزبية والأحزاب السياسية المتعددة، ابتداء من عهد يزيد بن معاوية، وأبرز تلك الأحزاب العَلَوِيون، والزُّبَيْرِيون، والخَوَارج.

٢ ـ الحياة الاجتماعية :

لقد شاعت حياة الترف على جميع البلاد، وتدفقت الأموال من جميع أنحاء الدولة إِلى الشام، فعمّ الرخاء حتى إِن الرجل يطوف بزكاة ماله فلا يجد من يأخذها في عهد الخليفة الأشج عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ واتّخذ العرب القصور وخطّطوا المدن الجديدة كمدينة واسط ومدينة اللُّد ومدينة الرُّصافة.

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في هذا العصر عودة العصبيات القبلية إِلى سابق عهدها في العصر الجاهلي.

٣ـ الحياة العقلية والثقافية:

تطوَّرت الحركة العلمية في عصر بني أمية، فنبغ علماء في النحو واللغة، وفي الفقه والحديث والتفسير وكذلك في الطب. وبما أن الأحزاب السياسية المختلفة تبنّت لنفسها أفكارًا دينية متباينة، فقد نشأ بينها جَدَل عُقدت له مجالس خاصة حاول فيها كلٌّ فريق أن يُثْبِت صحة مبدئه وفلسفة حزبه.

ولكنّ الحركة العلمية في عصر بني أمية لم تَسِرْ شوطًا بعيدًا؛ وذلك لأن الأمويين لم يختلطوا بالأمم الأخرى ذات الحضارات العريقة، ولذا ظلَّ الاتجاه العلمي في عصر بني أميّة قاصرًا على الثقافة العربية.

ومما ينبغي أن نشير إليه أن الحركة الأدبية ازدهرت في هذا العصر في بيئات مختلفة؛ بسبب تشجيع الأمويين، وبسبب الصراعات السياسية والدينية والقبلية، فأصبحت سوق « المِرْبد » مثلاً وقصور الخلفاء ومجالس الأدباء منتديات لغوية وفكرية وأدبية.

الشعر في عصر بني أمية

أغراضه واتجاهاته :

لقد كان من أثر الحياة العامة التي أوضحنا بعض جوانبها أن سار الشعر في اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : الشعر السياسي وهو لون من الشعر يختلط فيه المدح والفخر والهجاء والإقناع، وكان رجاله يدعون إلى مذاهبهم السياسية وأحزابهم، فالأخطل مثلاً يدعو إلى بني أمية، والكُمَيْت يدعو إلى بني هاشم. وعبدالله بن قيس الرُّقيَّات يدعو إلى الزبيريين وقَطَرِيٌّ بن الفُجَاءة يدعو إلى الخوارج وهكذا.

الاتجاه الثاني : شعر الهجاء وأقطابه جرير، والفرزدق، والأخطل. وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم أهم شعراء هذا العصر وهم شعراء النقائض، والنقائض معناها أن يَنْظِم الشاعر قصيدة في الفخر أو الهجاء على وزن وقافية فيردَّ عليه شاعر آخر بقصيدة أخرى ينقض بها فخره وهجاءه بنفس الوزن والقافية.

وإليك هذه الكلمة الموجزة عن نشأة النقائض في العصر الأموي :

حدث أول اشتباك في النقائض بين جرير وشاعر يقال له غسّان السُّليطي. فلما انتصر عليه جرير انبرى شاعر من قوم الفرزدق يقال له البُعَيْث فانتصر لغسّان وهجا جريرًا.

فصبّ عليه جرير صاعقةً من هجائه، وتعرَّض في شعره لقبيلة الفرزدق ونساء مجاشع، فذهبت النساء إلى الفرزدق واستغثنه، فهبّ يناقض جريرًا ويهجوه، وظل الهجاء مُسْتَعِرًا بينهما، فانضمَّ الأخطل التغلبي إلى الفرزدق وفضَّله على جرير وعندئذ انقضّ عليه جرير وهجاه، وأكثر من تعييره بالكفرِ وأكلِ لحم الخنزير؛ لأن الأخطل كان نصرانيًّا.

وقد أوقع سوء الحظ شاعرًا يقال له الراعي النُّمَيْري في عداء جرير؛ لأنه فضل الفرزدق على جرير، فهجاه جرير بقصيدة هدم فيها قبيلته مع أنه من بيت عزٍّ وشرف ومنها قوله :

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا
فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

الاتجاه الثالث : شعر الغزل وقد شاع في الحجاز بسبب حياة اللَّهو والترف وتفرع الغزل في هذا العصر إلى قسمين :

١ ـ الغزل العذري في البداية : وهو غزل عفيف طاهر لا يهتم بجمال المرأة بقدر ما يهتم بشفافية روحها وعفافها. ومن رواده جميل بُثَيْنَة، وقيس بن الملوَّح، وكُثَيِّر عزة.. وغيرهم.

٢ ـ الغزل الصريح : الذي يهتم بمحاسن المرأة وجمالها، وهو غزل قصصي يحكي مغامرات غرامية وأشهر رواده عمر بن أبي ربيعة وهو زعيم هذا النوع من الشعر بدون منافس، ومن شعرائه ـ أيضًا ـ الأحْوَص والعَرْجي وغيرهما.

الخصائص الفنيَّة للشعر الأموي :

ظلَّ الشعر الأموي في خصائصه الفنية، وكأنه امتداد للشعر الجاهلي في لفظه ومعناه وسَيْر القصيدة، ولكن أمرًا واحدًا طرأ على الشعر العربي منذ ظهور الإسلام، وظلَّ حتى يومنا هذا، وظهر في الشعر الأموي واضحًا، وهو تأثُّر الشعر بألفاظ القرآن الكريم، والمعاني الإسلامية وكان التأثر بالإسلام شائعًا لدى جميع الشعراء حتى شعراء البادية كالفرزدق ولكنه كان أشدَّ وضوحًا في شعر بعض الفرق كالخوارج.

وهناك خاصية أخرى لألفاظ الشعر الجديد وهي ميله إلى السهولة والرقة عمومًا، اللهم إلا في شعر الرجز(١)، فقد كان خشن الألفاظ غريبها.

---

(١) الرجز : أحد بحور الشعر العربي، وقد توسَّع فيه الشعراء، وأبرز الرُّجّاز العجّاج وابنه رُؤْبة وأبو النجم العجلي.

وفيما عدا هاتين الخاصتين، فقد ظل الشعر في خصائصه كالشعر الجاهلي من حيث جزالة اللفظ، وقوة التراكيب، والمعاني السطحية، ونظام القصيدة، وتفكك الروابط المعنوية غير أن قصائد الغزل في هذا العصر كانت تتمتَّع بِوَحْدة المعنى وترابطه.

المناقشة:

١ - كم سنةً امتدَّ العصر الأموي ؟ وهل كان خلفاء بني أمية أقوياء في حكمهم طيلة هذا العصر؟ أوضح ما أقول.

٢ - بم تميّز العصر الأموي ؟ ومتى سقطت الدولة الأموية ؟ وعلى يد مَنْ ؟

٣ - ما أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية في هذا العصر ؟

٤ - ما الشعر السياسي ؟ وما سبب وجوده ؟ ومَنْ أبرز شعرائه ؟

٥ - مَنْ مِنْ شعراء بني أمية اشتهر بفن النقائض الشعرية ؟ وما المقصود بالنقائض الشعرية ؟

٦ - أعودُ إلى أحد المعاجم وأبيِّن معنى (النقض) الذي اشتقت منه كلمة (النقائض).

٧ - ما الذي يجب أن يُلِمَّ به شاعر النقائض ليتفوَّق على خصومه ؟

٨ - ما الفرق بين الغزل العذري والغزل الصريح ؟ ومن هم روّاد كلٍّ من النوعين ؟

٩ - ما الخصائص الفنية للشعر الأموي ؟

نماذج من الشعر في عصر بني أمية

(١) مَعْـن بـن أوْس
فـي مكـارم الأخـلاق

التعريف بالشاعر:

هو معن بن أوس بن نصر المزني، شاعر فحل مخضرم، له مدائح في جماعة من الصحابة، وله أخبار مع عمر رضي اللّه عنه، وكان معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ يفضله في الشعر ويقول: أشعر أهل الإسلام كعب بن زهير ومعن بن أوس.

رحل معن إلى الشام والبصرة، وكف بصره في آخر حياته، وعاد إلى المدينة ومات فيها سنة ٦٤هـ

مناسبة النص:

ليس لهذا النص مناسبة معينة، ولكن الشاعر قاله بعد أن تعمّقت مبادئ الدين الإسلامي في قلبه، حيث افتخر بأخلاقه السامية وخصاله العالية كما افتخر ببعده عن مواطن الرِّيَبِ واجتناب الفواحش والمنكرات، وفِعْلِه المحامدَ والمكرمات.

النـــص:

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا أَهْوَيْتُ كَفِّي لِرِيبَةٍ ... وَلاَ حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي

٢ ـ وَلاَ قَادَنِي سَمْعِي وَلاَ بَصَرِي لَهَا ... وَلاَ دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلاَ عَقْلِي

٣ ـ وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتًى قَبْلِي

٤ ـ وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيِيتُ لِمُنْكَرٍ ... مِنَ الأَمْرِ لاَ يَمْشِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
٥ ـ وَلاَ مُؤْثِرًا نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... وَأُوثِرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي

الشــــرح :

يفتخر الشاعر بالفضائل الإسلامية ويركّز على خلقه النبيل ومكارم أخلاقه فيقول : إني لم أضع نفسي في موقف أُلام عليه، فلم تقترف يدي زلّة، ولم تحملني رجلي إلى فاحشة، ولم يقدْني سمعي ولا بصري ولا عقلي إلى منكر أندم عليه.

ثم يقول : إن المصائب التي تحلُّ على الإنسان في حياته مقدّرة عليه وعلى غيره، ومن ثم فلا داعي للجزع والفرار من قضاء الله وقدره.

ويعود الشاعر إلى التمدُّح بمكارم الأخلاق، فيتعهَّد نفسه بأنه لن يمشي إلى منكر، إذ لا يليق بمثله فعل المنكرات. وأخيرًا يبين لنا الشاعر في البيت الأخير مدى إيثاره، حيث يؤثر أقاربه على نفسه، كما يؤثر ضيفه على أهله وقرابته، وهذا يدل على كرمه وحُسن خلقه.

التعليــق :

معن بن أوس ـ كما يبدو من هذه المقطوعة ـ رجل عفيف يتميز بحسن الخلق والترفُّع عن الدنايا. وإذا عدنا إلى قصيدته تلك وجدنا فيها ما يلي :

١ ـ أنَّ الأفكار تتميز بالوضوح وعدم التعقيد، كما تتميز بأنها سامية ومؤثرة، ولا عجب في ذلك فهي مستمدّة من الإسلام الذي جاء لإصلاح البشرية.

٢ ـ أن عاطفة الشاعر عاطفة دينية، تتمثل في خلقه النبيل وسلوكه الطيِّب الذي أوصى به الإسلام، وهي بلاشك عاطفة صادقة قوية، استشعر فيها الشاعر بعض معاني القرآن الكريم،

كالذي تجده في البيت الثاني حيث تمثل الآيـة القرآنية ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾(١).

٣ ـ أن الخيال في هذه القصيدة نادر؛ لأن هذا النوع من الشعر يركز على الأفكار والمعاني أكثر من التركيز على الخيال والصور، إلا ما جاء منها عفواً كما في البيت الثاني.

المناقشة:

١ ـ تتجلّى في هذه القصيدة شخصية الشاعر. أوضّح هذه العبارة.

٢ ـ ما الأخلاق التي افتخر بها الشاعر ؟ أوضحها وأبيِّن رأيي فيها.

٣ ـ ما نوع العاطفة في هذا النص ؟ وهل هي قوية أم ضعيفة ؟ أوضّح ما أقول.

٤ ـ أعلل ندرة وجود الخيال في هذا النص.

٥ ـ في القصيدة ما يدل على إيمان الشاعر بالقضاء والقدر. أحدّد البيت وأشرحه بأسلوب أدبي.

٦ ـ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾(٢)
ويقول في آية أخرى : ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾(٣)
أستخرج من النص ما يتفق مع هاتين الآيتين.

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء.

(٣) سورة الحشر : ٩.

(٢) جميـل بن مَعْمَـر

في الغــزل

التعريف بالشاعر:

هو جميل بن مَعْمَر بن عبدالله ويُكنّى أبا عمرو. وهو أحد عشاق العرب المشهورين، من قبيلة عُذْرة القضاعية القحطانية المشتهرة بطهارة الحب وعِفَّته وكانت تقيم في وادي القرى بمنطقة المدينة. وقد لُقّبَ جميل بُثَيْنَة لأنه أُولعَ بابنة عمه بثينة، ولما تزوجت غيره ملأ شعره بغزل عذب رقيق في غاية الروعة والجمال، ولذلك يعد جميل زعيم الشعراء العذريين. وقد رحل جميل إلى مصر حيث مدح واليها عبدالعزيز بن مروان، ولكنه مرض هناك ومات على ما يبدو وهو عائد من مصر.

مناسبة النص:

تزوجت بثينة من رجل من قبيلتها اسمه نُبيه بن الأسود، لكن جميلاً ظلَّ يقول فيها الشعر، فهدّده أمير وادي القرى، فخاف جميل ورحل عن وادي القرى ولكنه ظل يتشوق إلى وادي القرى، ويتمنى لو يبيت فيه ولو ليلةً. ويبدو أنه قال هذه القصيدة وهو مشرد عن وادي القرى.

النـص:

١ ـ ألاَ لَيتَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ ... وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنُ يَعُودُ

---

(١) ريعان الشباب : أوله وأفضله.

٢ - وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً … بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذًا لَسَعِيدُ

٣ - وَهَلْ أَلْقَيَنْ فَرْدًا بُثَيْنَةَ مَرَّةً … تَجُودُ لَنَا مِنْ وِدِّهَا وَنَجُودُ

٤ - فَقَدْ تَلْتَقِي الحَاجَاتُ مِنْ بَعْدِ يَأْسَةٍ … وَقَدْ تُطْلَبُ الحَاجَاتُ وَهْيَ بَعِيدُ

٥ - عَلِقْتُ الهَوَى مِنْهَا وَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ … إِلَى اليَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ

٦ - وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي انْتِظَارِ نَوَالِهَا … وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهْوَ جَدِيدُ

٧ - فَمَا ذُكِرَ الأَحْبَابُ إِلاَّ ذَكَرْتُهَا … وَلا البُخْلُ إِلاَّ قُلْتُ سَوْفَ تَجُودُ

٨ - إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي … مِنَ الحُبِّ قَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدُ

٩ - وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ … مَعَ النَّاسِ قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ

١٠ - فَلاَ أَنَا مَرْدُودٌ لِمَا جِئْتُ طَالِبًا … وَلاَ حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ

١١ - يَمُوتُ الهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيتُهَا … وَيَحْيَا إِذَا فَارَقْتُهَا فَيَعُودُ

الشـــرح :

يتمنّى الشاعر لو يعود له الشباب والأيّام الماضية التي كان يلتقي فيها ببثينة. ويتساءل في حَيْرة : هل أعود إلى وادي القرى حيث تسكن بثينة، وأبيتُ فيه ولو ليلة واحدة ؟ إذًا لنلت السعادة كلها. وهل سيُتَاح لي أن ألقى بثينة ولو مرة فتبادلني مودة بمودة ؟ لن نيأس من هذا، فالحاجات قد تقضى بعد يأس وتدنو وهي بعيدة. لقد تعلّقتُ هوى بثينة منذ ولدت، وظل حبّها يكبر ويزداد إلى اليوم، وضيّعت عمري في انتظار وصلها، وأفنيت أيّامي في غير جدوى، وأصبحتُ أذكرها كلما ذُكِر الأحباب، وأنتظر حنانها على الرغم من بخلها.

وإذا قلت لها يومًا إن حبّك قد قتلني قالت : عسى أن يدوم ويزداد. وإن طلبت منها أن تردّ عقلي الذي أخذته قالت : هذه أمنية بعيدة. فلا أنا فائزٌ منها بما أرجوه ولا حبُّها يزول مع الأشياء التي تزول.

وأخيرًا يقول : إن نار الحبّ إذا التقينا تموت وتنطفئ، ولكنها لا تلبث أن تشتعل حالما نفترق.

التعليـــق:

يتميز غزل جميل بما يأتي :

١ ـ أنّ ألفاظ جميل في غاية العذوبة والرقة والسهولة، حتى لا تجد فيها لفظًا يحتاج إلى قاموس. وهي بهذا تناسب موضوع الغزل والحبّ العفيف الطاهر.

٢ ـ معاني شعر جميل لا تتعرَّض لأوصاف الجسم المحسوسة، ولكنها تقتصر على وصف آلام الحب والفراق والشوق والهجر.

٣ ـ شعر جميل مُلْتَهِب العاطفة، ولهذا فهو يؤثر في النفس حتى لقد عُدَّ أجمل شعر عُذريٍّ عفيف.

٤ ـ يصور شعر جميل حياة البدويات وما يتحلَّين به من ذكاء وعفاف، كما ترى في الحوار الذي دار بينهما.

٥ ـ وخيال جميل ممتع مع أنه قليل، كما ترى في البيت الأخير الذي يعتبر من أجمل أبيات الغزل.

المناقشة:

١ ـ لماذا سُمِّيَ الغزل العفيف عُذريًّا ؟

٢ ـ ما الأمنيات الثلاث التي يتمناها جميل ؟

٣ ـ ما المعاني التي يطرقها جميلٌ في غزله ؟

٤ ـ في الأبيات الخمسة الأولى بيت اشتمل على حكمة. أعيِّنه وأشرحه. وأبيِّن لماذا نتأثر بِحِكَمِ الشعراء أكثر مما نتأثر بِحِكَمِ الفلاسفة ؟

٥ ـ في الأبيات حوار. أنثره بأسلوب جميل.

٦ ـ ما معنى قوله : يموت الهوى ويحيا ؟ وهل هذا الكلام حقيقة أم خيال ؟ ولماذا ؟

٧ ـ لماذا كانت ألفاظ جميل في غاية العذوبة مع أنه بدوي ؟

٨ ـ أوضح رأيي بعاطفة الشاعر .

(٣) الفـــرزدق

في الفخر والهجاء

التعريف بالشاعر:

اسمه همّام بن غالب وهو من أشرف بيوت تميم بن مجاشع بن دارم، فقد عُرِفَ جَدُّه صَعْصَعة ابن مجاشع بأنه محيي الموءودات؛ لأنه كان في الجاهلية يفتدي كل فتاة يَهُمُّ أبوها بأن يئدها. أما أبوه غالب، فكان بدويًا صاحب إبل وأنعام، ثم نزل البصرة وسكنها واشتهر بكرمه.

وولد الفرزدق بكاظمة وهي التي تسمى حاليًّا الجهرة شرق مدينة الكويت، وكانت ولادته في خلافة عمر رضي الله عنه ونشأ نشأة بدوية، وقد غلب عليه لقب الفرزدق لقبح وجهه؛ لأن الفرزدق معناها الرغيف.

ولما بدأ ينظم الشعر حمله أبوه وهو في الخامسة عشرة من عمره إلى علي -رضي الله عنه- وهو في البصرة وجعله ينشد أمامه شيئًا من شعره فنصحه علي -رضي الله عنه- بحفظ القرآن الكريم فحفظه. وقد توفي الفرزدق سنة ١١٠هـ.

مناسبة النص:

من المعروف أن العصر الأموي تميز بإثارة النعرات القديمة والعصبيات القبلية، فشاع الهجاء القَبَلي والشخصي بين الشعراء، وكان أبرز أعلام الهجاء ثلاثة : جرير، والفرزدق، وكلاهما من تميم، إلاَّ أن جريرًا من بني كليب، والثاني من بني دارم. أمّا الشاعر الثالث فالأخطل، وكان تغلبيًّا نصرانيًّا.

وقد نشأ بين شعراء الهجاء فَنُّ النقائض، وهذه القصيدة للفرزدق يفتخر فيها ببني مجاشع بن دارم، ويهجو قوم جرير.

النص :

١ ـ إنَّ الذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ... بَيْتًا دعَائِمُهُ أعَزُّ وأَطْوَلُ
٢ ـ بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ وَمَا بَنَى ... حكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لا يُنْقَلُ
٣ ـ بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ... وَمُجَاشِعٌ وأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ
٤ ـ الأكْثَرُونَ إذَا يُعَدُّ حَصَاهُمُ ... والأكْرَمُونَ إذَا يُعَدُّ الأوّلُ
٥ ـ لا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أبَدًا إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفْضَلُ
٦ ـ حُلَلُ المُلُوكِ لِبَاسُنَا فِي أرْضِنَا ... والسَّابغَاتُ لَدَى الوَغَى نَتَسَرْبَلُ
٧ ـ أحْلامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إذَا مَا نَجْهَلُ
٨ ـ إنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ... وأبُوكَ خَلْفَ أتَانِهِ يَتَقَمَّلُ
٩ ـ ضَرَبَتْ عَلَيكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ
١٠ ـ وَشُغِلْتَ عَنْ حَسَبِ الكِرَامِ وَمَا بَنَوْا ... إنَّ اللَّئِيمَ عَنِ المَكَارِمِ يُشْغَلُ

الشرح :

يقول الفرزدق مُفَاخِرًا بقبيلته بني مجاشع بن دارم : إن الله الذي رفع السماء هو الذي بنى

---

(١) سمك السماء : رفعها. دعائمه : أعمدته. بيتًا : شرفًا ونسبًا.
(٢) المليك : الله جل جلاله.
(٣) احتبى : جلس راكزًا ساقيه أمامه. زرارة ومجاشع ونهشل : من أجداد الفرزدق ومن سادة تميم.
(٤) حصاهم : عددهم.
(٦) السابغات : الدروع الضافية. نتسربل : نلبس.
(٧) أحلامنا : عقولنا. نجهل : نسفه وننتقم.
(٧) يتقمل : ينتزع القمل.

مجد قومي، فجاء عالي البناء، قوي الدعائم، طويل العمد، وهذا الشرف بناه الله، وما يبنيه الله لا يستطيع أحد أن يُحَلْحِلَه.

إن بيت قبيلتي يجلس فيه أجدادي الكرام مجاشع ونهشل وزرارة الذين كانوا أكثر الناس عددًا وأعظمهم كرمًا. أما قبيلتك يا جرير فليس فيها أبطال كهؤلاء إذا تذاكر الناس المعروف والفضائل.

إننا في السلم نلبس حُلَل الملوك، وفي الحرب نتسربل الدروع السابغة. ثم إننا في حالة حلمنا نكون كالجبال الراسية، أما حين نثور ونجهل فإننا نتحول جنًّا.

وحين نشتغل نحن بقتال الأبطال من رؤوس القبائل يكون أبوك خلف حماره يلتقط القمل، إن قبيلتكم ذات مجد واهن أوهن من بيت العنكبوت، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

وأنت يا جرير مشغول عن بناء المجد؛ لأن اللئيم يكون دومًا مشغولاً عن بناء الفضائل.

التعليق:

عندما ننظر في قصيدة الفرزدق هذه نجد فيها الميزات التالية :

١ - أنه في الفخر لا يُشَقُّ له غبار، وذلك لأنه ينتمي إلى قبيلة ذات شرف وأصل ونسب، وفي الأبيات ١ ، ٦ ، ٧ فخر قوي قلَّ أن نجد له شبيهًا.

أما في الهجاء فالفرزدق أقل حظًّا من الفخر، ولعلك تلاحظ أنه لم يَهْجُ جريرًا إلا بِلُؤْم أصله.

٢ - ألفاظ الفرزدق فيها خشونة ووعورة، وهي لا تظهر في هذه الأبيات وإنما تظهر في غيرها، ولعل هذه الخشونة ناتجة من حياة البداوة التي كان يعيشها الفرزدق، لذا فإن علماء اللغة الذين ينشدون الغريب الوَعِرَ من الألفاظ يفضلون الفرزدق على جرير.

٣ - والعاطفة في الأبيات السابقة عاطفة الفخر والاعتزاز والزهو من قبل الشاعر بقبيلته التي بلغت شأوًا بعيدًا في الكرم والسؤدد، أما العاطفة في الأبيات التي هجا فيها الشاعر خصمه فهي عاطفة النقمة والكُرْه لهذا المنافس الذليل الذي يحاول أن يصل إلى مكانة شاعر عظيم.

٤ ـ لقد وُصِف الفرزدق بأنه ينحت من صخر، وجرير بأنه يغرف من بحر مشيرين بهذا إلى أن جريرًا كان سلس القوافي سهل الألفاظ طويل النفس، في حين كان الفرزدق وَعْر القوافي، صعب الألفاظ، قصير القصائد نسبيًّا.

٥ ـ هذا والفرزدق جيد التصوير، بارع في ابتكار الصور، كما تجد في البيتين ٧ ، ٩ صورًا في غاية الجمال والحسن والروعة.

٦ ـ لقد تأثر الفرزدق بألفاظ الإسلام قليلاً بسبب بداوته، ومع هذا فشعره لا يخلو من ذلك، كما في أبياته ١ ، ٢ ، ٩ .

المناقشة:

١ ـ أتحدَّثُ عن نشأة الفرزدق .

٢ ـ ما الصفات التي تمدَّح بها الفرزدق ؟ وما الصفات التي هجا بها جريرًا ؟

٣ ـ أقارن بين أبيات الفخر وأبيات الهجاء، وأبيِّن سبب تفوق الفرزدق في إحداهما دون الأخرى.

٤ ـ ما مدى تأثر الفرزدق بألفاظ الدعوة الإسلامية ؟ وما السبب في ذلك ؟

٥ ـ أستخرج من الأبيات السابقة تراكيب يظهر فيها أثر الإسلام.

٦ ـ الفرزدق جيد التصوير. أستخرج بعض الصور التي أعجبتني، وأوضحها.

٧ ـ أتحدث عن عاطفة الشاعر في الأبيات السابقة.

٨ ـ قال النقاد : الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر. فما معنى هذه العبارة ؟

٩ ـ يمثل شعر النقائض ـ ومنه هذه القصيدة ـ عَوْدَةً إلى ما كان الإسلام قد قضى عليه. أوضح هذه العبارة.

(٤) جريـــر

في المــدح

التعريف بالشاعر:

جرير بن عطيّة الخَطَفَى بطن من بطون تميم يُدعون كليب بن يربوع ولد خديجًا[١] في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ ويروى أن أمه رأت في المنامِ، وهي حامل به أنها ولدت حَبْلاً يلتف على أوساط الناس فيقطعها، فلما ولدته سمته جريرًا. وقد نشأ باليمامة بنجد ـ حيث كانت تقيم قبيلته ـ نشأة فقيرة يرعى الإبل. وكان أبوه فقيرًا بخيلاً وقومه بنو كليب بن يربوع من البطون الضعيفة في تميم.

بدأ ينظم الشعر رَجَزًا، ثم مدح يزيد بن معاوية بقصيدة نال عليها أول جائزة يحرزها، ولم يزل بعد ذلك ينظم حتى شاع ذكره، فاتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه، ونال الحظوة لديه ولدى ابنه الوليد، ولكنه لم يتصل بسليمان إلا قليلاً. ثم عاد فمدح عمر بن عبدالعزيز، ونال جوائزه، مع أن عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يكن يجزل المكافأة للشعراء، ويبدو أن عمر كان يرى في غزل جرير عِفَّةً، وكان يعلم أنه أكثر من الفرزدق استقامة، ولذا أذن له بالدخول عليه وحجب بقية الشعراء الذين حضروا معه كالأخطل والفرزدق والأحوص وغيرهم، والحق أن جريرًا كان تقيًّا طيب العبادة.

وكانت وفاة جرير باليمامة سنة ١١٤هـ.

---

(١) الخديج هو المولود قبل تمام أيام حمله.

مناسبة النص :

اتخذ الشعراء في العصر الأمويّ شعرهم وسيلةً للتكسُّب، فقصدوا به الخلفاء والأمراء يمدحونهم، وكان عبدالملك بن مروان يُجزل لهم المكافأة، وجرير في هذه القصيدة يمدح عبدالملك ويجاهر بطلب العطاء ويشكو فقره إلى الخليفة بطريقة لم تُعْهد عند الشعراء القدامى، ولا يرتضونها لأنفسهم.

النص :

١ - أَتَصْحُو أمْ فُؤادُكَ غَيْرُ صَاحِ ... عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ ؟

٢ - تَقُولُ العَاذِلاتُ عَلاكَ شَيْبٌ ... أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي ؟

٣ - يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ ... ظَعَائِنَ يَجْتَزِعْنَ عَلَى رُماحِ

٤ - عِرابًا لَمْ يَدِنَّ مَعَ النَّصَارَى ... وَلَمْ يَأْكُلْنَ مِنْ سَمَكِ القَرَاحِ

٥ - تَعَزَّتْ أمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ ... رَأَيْتُ الوَارِدِينَ ذَوِي امْتِيَاحِ

٦ - تُعَلِّلُ وَهْيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا ... بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَرَاحِ

٧ - سَأَمْتَاحُ البُحُورَ فَجَنِّبِينِي ... أَذَاةَ اللَّوْمِ وانْتَظِرِي امْتِيَاحِي

٨ - ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

---

(٣) ظعائنُ : نساء يسافرن على جمال يجتزعن : يقطعن المسافة. رماح : بلد معروف يبعد عن الرياض بـ ١٢٠ كيلاً شرقًا.

(٤) عرابًا : محببات للأزواج (جمع عروب). لم يدن مع النصارى، ولم يأكلن من سمك القراح : لسن من جواري الشام ولا من جواري البحرين بل هن عربيات أصيلات.

(٥) أم حزرة : زوجة جرير. أمتاح : كسب العطاء. الواردين : الذين يسوقون الإبل نحو الماء.

(٦) ساغبة : جائعة. أنفاس من الشبم القراح : جرعات من الماء البارد العذب.

(٧) أمتاح : أطلب العطاء.

٩ ـ أغِثْني يا فداكَ أَبي وأمِّي بِسَيْبٍ منكَ إنَّكَ ذو ارتياحِ
١٠ ـ سأشْكُرُ إنْ رَدَدْتَ عليَّ ريشِي وأنْبتَّ القَوادمَ في جَنَاحِي
١١ ـ أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وأنْدَى العَالَمِيْنَ بُطُونَ رَاحِ ؟
١٢ ـ حَمَيْتَ حِمَى تِهامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ ومَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ

الشرح :

يخاطب الشاعر نفسه في البيت الأول فيقول : هل أنت في كامل وعيك. أم ترى غاب فؤادك عندما فارقك أحبابك ؟

إن اللائمات يلمْنني ويقلْن لي : لقد شاب رأسك فما لك والحب، ولكن هل الشيب يمنع اللهو ؟ إن قلبي يحملني هوى نساءٍ جميلات يتجهن نحو رُماح إنهن نساء عربيات أصيلات لم تخالط دماءهن دماء الروم ولا العجم. ثم لما انتهى الشاعر من مقدمته الغزلية انتقل إلى غرضه الأصلي وهو مدح الخليفة فيقول :

إنني عندما هممت بالذهاب إليك جزعت زوجتي (أم حزرة)، ثم ما لبثت أن صبرت وتجلّدت، وقالت : إن من يرد حوض الخليفة لن يعود خائبًا بل سينال العطاء، ولقد تركتُها في حالة من التفرد والعوز إلى حد أنها تُسَلِّي أولادها بجرعات من الماء البارد لتصبرهم عن الطعام وقلت لها : سأقصد الكرماء فلا تؤذيني باللوم وانتظري حتى أعود إليك بالعطاء، وثقي بالله أن رحلتي ستكون ناجحة.

ثم أخذ الشاعرُ يُلِحُّ ويجاهر بطلب العطاء وإنما دفعه إلى ذلك فقره المدقع، فأنت أيها الخليفة ذو كرم وأريحية، ولسوف أشكرك إذا كسوتني وبعثتَ فيَّ الدفء والحياة. ثم يستخدم الشاعر

---

(٩) سيب : عطاء، ارتياح، كرم.
(١٠) القوادم : الريش الكبير في الجناح.
(١١) راح : جمع راحة وهي باطن الكف.

أسلوب الاستفهام الذي أراد به أن يحمل الخليفة على الاعتراف بفضله وكرمه فالغرض من الاستفهام التقرير، (ألستم خير من ركب المطايا ؟) أي أنتم خير الناس جميعًا وأكرمهم قاطبة ثم أخذ يمدحه بأنه حمى الجزيرة، وأنه ما من قوة في الأرض تستطيع أن تستبيح حماها.

التعليق :

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل على عادة الشعراء القدامى فذكر حبيبته وهي زوجته : لأنه كان يحبها حبًّا عظيمًا، وهو غزل عذب رقيق.

ولقد انتقد الخليفة مطلع القصيدة الذي يوهم أن المقصود به المخاطب الذي هو الخليفة لذا قال : « بل فؤادك أنت يا ابن المراغة »[1]، ويبدو أن الخليفة غضب لذلك، إلا أنه طرب طربًا شديدًا عندما سمع الشاعر يقول : (ألستم خير من ركب المطايا... إلخ)، إذ قال : « كذلك نحن ومازلنا كذلك » وأشار إلى بعض جلسائه فقال : « بمثل هذا فليأتني المادحون ». غير أن الشاعر لم يكن موفقًا عندما جاهر بالتكسب وطلب العطاء وإراقة ماء الوجه بدون حياء كما نلحظ ذلك في البيت التاسع وما بعده.

١ ـ أجاد الشاعر في خياله عندما وصف النساء الأعرابيات وهنَّ يتجهن إلى (رُماح) ووَصْفه لعروبتهن التي لا تخالطها عجمة، ومن وصفه الجميل تشبيه الواردين على مجلس الخليفة بالواردين على البحر.

وفي تشبيهه نفسه بالطائر الذي نُتف ريشه. كما أن قوله : (ألستم خير من ركب المطايا) كناية عن موصوف وهم العرب، وفي (أندى العالمين بطون راح) كناية عن صفة وهي الكرم، وقد أورده في صورة استفهام تقريري جميل.

---

(١) يقصد أم جرير. والمراغة الأتان.

٢ ـ أما عاطفة الشاعر في مطلع القصيدة في الأبيات التي تحدث فيها عن حُبِّه لزوجته فهي عاطفة ذاتية صادقة عميقة؛ لأنها تكشف عن حب طاهر يربطه بشريكة حياته وأم أولاده التي تعاني ما يعاني من شظف العيش والفاقة، أما عاطفة المديح ولاسيما مثل هذا المديح الذي يجاهر الشاعر فيه بطلب العطاء فعاطفته أقل صدقًا.

٣ ـ وأما ألفاظ القصيدة فهي كما تشاهد ألفاظ رقيقة عذبة لاسيما في شعره الذي يتغزل فيه، وهي ألفاظ خالية من الغرابة أو ما يوجب ثقلها على السمع، ولشدة تناغم هذه الألفاظ مع بعضها وانسجامها كونت جرسًا موسيقيًّا جميلاً.

المناقشة:

١ ـ أذكر نبذة مختصرة عن نشأة جرير، وأبين سبب تسميته بهذا الاسم.

٢ ـ فضَّل عمر بن عبدالعزيز جريرًا على سائر وفود الشعراء وأذن له بالدخول. فلماذا ؟

٣ ـ كيف استقبل عبدالملك بن مروان مطلع القصيدة التي مدحه بها جرير ؟ ولماذا ؟

٤ ـ ما الوصف الذي وصف به جرير البدويات الظاعنات ؟

٥ ـ كيف صوَّر جرير احتياج زوجته وأطفاله ؟

٦ ـ ما رأيك في البيت التاسع ؟ وما مدى تناسبه مع الخلق الإسلامي ؟

٧ ـ ما الصورة التي صور بها جرير نفسه في البيت العاشر ؟

٨ ـ ما البيت الذي أثار إعجاب الخليفة ؟ أذكر ثلاث محاسن لهذا البيت.

٩ ـ في القصيدة ثلاثة استفهامات رائعة، أحدها يفيد النفي والثاني للتقرير، والثالث للتحسُّر والحيرة. أستخرجها وأوضّح كلًّا منها.

النثر في عصر بني أميّة

١ ـ الخطابة

عوامل ازدهارها :

هناك عوامل عدة شجعت الخطابة في عصر بني أمية منها :

أ ـ كثرة الأحزاب السياسية والمذاهب الدينيّة وتنافس هذه الأحزاب والمذاهب ليثبت كل منها أنه على حق وأن منافسه على باطل.

ب ـ ازدهار الوعظ الديني وبروز وعاظ متخصصين في هذا الفن، وهؤلاء كانوا ينتهزون كل فُرصة للخطابة الدينية، بالإضافة إلى الخطب التي سنّها الإسلام الحنيف شعائر من شعائره كخطب الجمع والأعياد ومواسم الحج.

جـ ـ كثرة الوفود التي كانت تفد على الخلفاء والأمراء من الأقاليم لتعرض أحوالها ومشكلاتها على المسؤولين، وكان ذلك العرض يتم على هيئة خُطب.

أنواعها :

كانت الخطابة في العصر الأموي على أربعة أنواع :

١ ـ **الخطب السياسية** : وكان أهم خطبائها زياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف.

٢ ـ **الخطب الدينية** : وكان رجالها هم الوعاظ والعلماء والفقهاء كالحسن البصري، ومالك ابن دينار.

٣ ـ **خطب المحافل والوفود** : وقد نبغ فيها سحبان وائل، والأحنف بن قيس وغيرهما.

٤ ـ **خطب المعارك** : واشتهر فيها قواد الجيوش كقتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد.

نماذج من الخطابة في العصر الأموي

أ ـ من الخطبة البتراء لزياد بن أبيه

التعريف بالخطيب:

ولد زياد بمكة من جارية فارسية اسمها سُميّة، كانت أمة للحارث بن كَلَدَة الثقفي، طبيب العرب، ولم يكن أبوه معروفًا؛ فسُمِّي زياد بن أبيه. وقد حاول أبو سفيان أن ينسبه إلى نفسه في عهد عمر لما رأى من نجابته وصواب رأيه.

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يعجب به وبكلامه وعقله. وفي عهد عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ تولّى زياد مناصبَ رفيعة، وأبلى في خدمة أمير المؤمنين بلاءً حسنًا.

ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة استدعى زيادًا وعرض عليه أن يعترف بنسبه إلى أبي سفيان وبهذا يصبح أخًا للخليفة، وقد حرص زياد على وحدة المسلمين فلم يَشُقّ على معاوية عصا الطاعة، ورضي أن ينسلك في خدمته، وأخلص فيها، كما أخلص في خدمة علي وقد ولاّه معاوية البصرة، ثم ضَمَّ إليه الكوفة، فأصبح بذلك والي العراق كله، وهناك تمكن من إقرار الأمن في السنوات الخمس التي تولى فيها العراق. وتوفي بالطاعون في الكوفة سنة ٥٣ للهجرة.

وزياد من أشهر خطباء العصر الأموي، وكان داهية حليمًا ذكيًّا، وأسلوبه في الخطابة جزل محكم، فصيح الألفاظ والتراكيب، مؤثر في النفوس.

مناسبة الخطبة:

اختار معاوية زيادًا واليًا على البصرة، وكانت الثورات على بني أميّة تنبع منها. فلما وصل

زياد إلى البصرة صعد المنبر، ولم يبدأ بحمد الله والثناء عليه، كالعادة، وإنما اندفع كالصاعقة يصبُّ كلامًا كالحجارة على رؤوس البصريين، ولهذا سُمِّيت خطبته « بالبتراء »؛ لخلوها من المقدمة الإسلامية المعروفة، وقد تركت هذه الخطبة أثرها في نفوس مثيري الفتن، وكذا الولاة الذين جاءوا بعد زياد فقلدوا زيادًا في لهجة التهديد التي اختارها وهو يخاطب أهل البصرة، فأصبح العنف والتهديد من سمات خطابة هذا العصر.

النــــص :

«أمَّا بَعْد : فَإنَّ الجَهالَةَ الجَهْلاَء، والضَّلاَلَةَ العَمْيَاء، والغَيَّ المُوفِي بأهْلِه عَلَى النَّار، مَا فِيه سُفَهَاؤكُمْ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْه حُلَمَاؤكُمْ، مِنَ الأُمُوْرِ التي يَشُبُّ فِيهَا الصَّغِير، ولا يَتحَاشَى عَنْهَا الكَبِيرِ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَقْرؤوا كِتَابَ اللَّه، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ مِنَ الثَّوَابِ الكَرِيْمِ لأَهْلِ طَاعَتِه، والعَذَابِ الأَلِيمِ لأَهْلِ مَعْصِيَته.

قَرَّبْتُمُ القَرابَةَ وبَعَّدْتُمُ الدِّينَ، كُلُّ امْرِئٍ مِنكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَفِيهِهِ صُنْعَ مَنْ لا يَخَافُ عَاقِبَةً وَلاَ يرْجُو مَعَادًا، مَا أنْتُمْ بالحُلَمَاءِ، وَقَد اتَّبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ.

حَرامٌ عَلَيَّ الطَّعَامُ والشَّرَابُ، حَتَّى أُسَوِّيهَا بالأَرْضِ هَدْمًا وإحْرَاقًا، إنِي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الأَمْرَ لاَ يَصْلُحُ إلاَّ بِمَا صَلُحَ بِه أوَّلُهُ، لِينٌ في غَيْرِ ضَعْف، وشِدَّةٌ في غَيْرِ عُنْف. وَإني أُقْسِمُ بالله لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالمَوْلَى، وَالمقِيمَ بالظَّاعِن، والمقْبِلَ بالمدْبِر، والمطِيعَ بالعَاصِي، والصَّحِيحَ بالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أخَاهُ فَيَقُولَ : «أُنْجُ سَعْدُ، فَقَدْ هَلَكَ سُعَيْدٌ» أوْ تَسْتَقِيمَ قَنَاتُكُمْ، وإيَّايَ وَدَلَجَ اللَيْلِ، فَإني لا أُوتَى بِمُدْلِجٍ إلاَّ سَفَكْتُ دَمَه، وإيَّايَ وَدَعْوَى الجَاهِلِيَّة فَإنِّي لاَ أجِدُ دَاعِيًا بِهَا إلاَّ قَطَعْتُ لِسَانَه. وَلَقَدْ أحْدَثْتُمْ أحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ؛ وَلَقَدْ أحْدَثْنا لِكُلِّ ذَنْبٍ عُقُوبَةً، فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاه، وَمَنْ أحْرَقَ قَوْمًا أحْرَقْنَاه، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْنَا عَنْ

قَلْبِه ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَّاهُ فِيْه حَيًّا.

وَأَيْمُ اللهِ إِنَّ لِي فِيْكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرْ كُلٌّ مِنْكُمْ أنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَاي».

التعليق :

تشتمل الخطبة البتراء على مجموعة من الأفكار الرئيسة وهي :

١ ـ توبيخ لمثيري الفتن؛ بسبب تعاونهم على الفتنة وتفضيلهم القرابة على الدين.

٢ ـ تهديد للعصاة بأن يؤخذوا بأشدّ أنواع العقوبات، أو ما يُسمَّى بالأحكام العرفية التي تأخذ الطائعين بذنب العُصاة.

٣ ـ تحذير من السير ليلاً (وهذا هو منع التجوُّل)، وتحذير من دعوى الجاهلية.

٤ ـ تنديد بالجرائم التي ابتكرها مثيرو الفتن وفرضٌ لعقوبات تناسبها.

٥ ـ خاتمة عنيفة تحذر كلّ فردٍ أن يكون ضحيّة للفتنة.

وتُعدُّ هذه الخطبةُ من أبلغ الخطب العربيّة. وهي تستمدُّ روعتها من الأمور الآتية :

١ ـ التقسيم الرائع إلى فقرات مناسبة متوازنة تحدث موسيقى مؤثرة ووقعًا بليغًا.

٢ ـ التأثُّر الواضح بأسلوب علي ـ رضي الله عنه ـ من حيث الصراحة والشدَّة ومن حيث البلاغة والتأثير.

٣ ـ التأثر العميق بالألفاظ الإسلامية وخصوصًا في الجزء الأول من الخطبة.

٤ ـ السجع غير المتكلف الذي جمّل الأسلوب وجعل له رنينًا مؤثرًا. كقوله : « ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم »، وقوله : « ما أعدّ من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته ». والطباق في قوله : « حلماؤكم، سفهاؤكم. الصغير، الكبير، ثواب، عذاب ».

المناقشة :

١ ـ ما مناسبة الخطبة البتراء ؟ ولمَ سُمِّيت بهذا الاسم ؟

٢ ـ لماذا كانت الخطبة البتراء مطابقة للمقام والحال ؟

٣ ـ في الخطبة إعلان لحالة الطوارئ ومنع التجوُّل، أذكر من الخطبة ما يشير إلى ذلك.

٤ ـ ما السياسة التي سيحكم بها زياد العراق ؟ أهي الشدة أم اللين ؟ وكيف عرفت ذلك ؟

٥ ـ استعمل زياد مثلاً من الأمثال يقال عندما تستحكم الشدّة. فما هو وعلام يدلُّ استعمال زياد للأمثال ؟

٦ ـ يوجد في الخطبة بعض الإشارات الدينية. أستخرجها، ثم أوضّح أثرها.

٧ ـ أستخرج من الخطبة أساليب الطباق والسجع وأوضّح أثرها.

٨ ـ يُكْثِر زياد من القسم، أستخرج ثلاثة مواضع من القسم وأذكر لماذا يكرر القسم ؟

٩ ـ من أين تستمدُّ هذه الخطبة موسيقاها المؤثرة ؟

١٠ ـ ما الأثر الذي تركته هذه الخطبة في أساليب الخطباء الذين جاؤوا بعد زياد ؟

١١ ـ تبرز في هذه الخطبة شخصية زياد. أوضح معالم هذه الشخصية.

ب ـ صفـة المـؤمـن للحسـن البصـري

التعريف بالخطيب:

ولد الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في بيئة معطرة بقراءة القرآن الكريم وأنفاس النبوة، وكانت أمه تحمله فتمرُّ به على زوجات رسول الله ﷺ وكانت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ كثيرًا ما تحمله، إذا بكى أعطته ثديها فدرَّ باللبن وكان ذلك شرفًا وبركة حظى بهما الحسن ـ رحمه الله ـ إذ ترضعه أم المؤمنين.

كان الحسن يتردّد على مسجد رسول الله ﷺ ويجلس في حلقات الصحابة المحدثين. فحفظ القرآن الكريم وتعلَّم الكتابة وظهرت عليه أمارات النبوغ والعبقرية. ظلَّ الحسن ـ رحمه الله ـ منارًا للعلم يهتدي به الساري. ولم يُقبل على قصور الخلفاء ما عدا عمر بن عبدالعزيز، فهو الخليفة الوحيد الذي سَعِد الحسن بخلافته وزاره وراسله وبعث إليه المواعظ والوصايا العظيمة.

توفي رحمه الله سنة ١١٠هـ، عن عمر يقارب التسعين.

مناسبة الخطبة:

كان الحسن البصري واعظًا يأمر بالمعروف ويرشد المسلمين وكان يُلْقِي العظات الدينية حافلة بالحكمة فهو يذكِّر بالله واليوم الآخر، ويحثُّ على التقوى ويرشد المسلمين إلى ما يجب أن يكونوا عليه من الأخلاق الكريمة وهذا النص مما قاله في هذا الباب.

النـــص :

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ[١]، أهْلَكَ النَّاسَ الأمَانِي، قَوْلٌ بلاَ عَمَل، وَمَعْرِفَةٌ بغيْرِ صَبْر، وإيْمَانٌ بلاَ يَقِيْن، إنَّمَا دِيْنُ أَحَدِنَا لَعْقَةٌ عَلَى لِسَانِه، إذَا سُئِلَ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ بِيَوْمِ الحِسَاب ؟ قَالَ : نَعَمْ. كَذَبَ وَمَالِكِ يَوْمِ الدِّين ؛ إنَّ مِن أَخْلاَقِ المُؤْمِنِ قُوَّةً فِي دِين، وَحَزْمًا فِي لِين، وإيمَانًا فِي يَقِين، وَعِلْمًا فِي حِلْم، وَحِلْمًا بِعِلْم، وَذَكَاءً فِي رِفْق، وإنْصَافًا فِي اسْتِقَامَة. لاَ يَحِيفُ[٢] عَلَى مَنْ يُبْغِض، ولا يَأْثَمُ فِي مُسَاعَدَةِ مَنْ يُحِبّ، وَلاَ يَهْمِزُ وَلاَ يَلْمِز، وَلاَ يَلْهُو وَلاَ يَلْعَب، وَلاَ يَتَّبِعُ مَا لَيْسَ لَه، وَلاَ يَجْحَدُ الحَقَّ الذي عَلَيْه، وَلاَ يَشْمَتُ بِفَجِيعَةِ غَيْرِه وَلاَ يُسَرُّ بِمَعْصِيَةِ سِوَاه. المؤْمِنُ فِي الصَّلاَةِ خَاشِع، وإلى الصَّالحَاتِ مُسَارِع، قَوْلُهُ شِفَاء، وَصَبْرُه تُقَى، سُكُوتُهُ فِكْرَة، وَنَظَرُهُ عِبْرَة، يُخَالِطُ العُلَمَاءَ لِيَعْلَم، وَيَسْكُتُ بَيْنَهُمْ لِيَسْلَم، إنْ أَحْسَنَ اسْتَبْشَر، وَإِنْ أَسَاءَ اسْتَغْفَر، لاَ يَتَعَوَّذُ بِغَيْرِ اللَّه، وَلاَ يَسْتَعِينُ إلاَّ بِاللَّه. وَقُورٌ فِي المَلاَ[٣]، شَكُورٌ فِي الخَلاَ[٤].

حَامِدٌ عَلَى الرَّخَاء، صَابِرٌ عَلَى البَلاَء، إنْ جَلَسَ مَعَ الغَافِلِيْنَ كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِين».

هَكَذَا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى لَحِقُوا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَكَذَا كَانَ المُسْلِمُونَ مِنْ سَلَفِكُمْ الصَّالِح، وإنما غُيِّرَ بِنَا حِينَ غَيَّرْنَا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾[٥].

---

(١) هيهات : يقصد بأنه من المستبعد أن يكون الإيمان بالكلام.

(٢) يحيف : يظلم.

(٣) في الملا : في حضور الناس.

(٤) في الخلا : وهو خال وحده.

(٥) سورة الرعد.

التعليـــق:

اشتهر الحسن البصري - رحمه الله - بالموعظة الحسنة الرفيعة وموعظته وليدة فكر متأمِّل، وقد بدأ الحسن - رحمه الله - موعظته بلوم من يدّعي الإيمان باليوم الآخر، وأعماله تخالف أقواله، ثم أخذ يعدد ما يتصف به المؤمن من فضائلَ كالصبر واليقين والحزم والحلم والذكاء والرحمة وعفة اللسان...

وتتجلّى في أسلوب الحِسن خصائص تجعله في غاية التأثير، كجمال التقسيم، وقصر الجمل وتوازنها، والاستشهاد بآي الذكر الحكيم، وصدق اللهجة، وحرارة العاطفة، وعذوبة اللفظ، واستعمال السجع في غير تكلُّف، وضَرْب الأمثال، واستعمال التشبيه لتقريب المعنى.

أما معانيه فهي قبس من نور الكتاب والسُّنة.

المناقشـــة:

١ - في أي بيئة عاش الحسن رحمه الله ؟ وما مدى تأثيرها على حياته وعلمه ؟

٢ - مَنِ الخليفة الذي سعد الحسن بخلافته ؟ وكيف كانت علاقته به ؟

٣ - ما الذي ينكره الحَسَن على الناس ؟ وإِلام يدعوهم ؟

٤ - ما الفضائل التي ينبغي أن يتصف بها المؤمن الحق ؟

٥ - لماذا كانت موعظة الحسن هذه مؤثرة ؟

٦ - لماذا استعمل الحسن التشبيه ؟ أذكر مثالاً من النص يوضح ما أقول.

٧ - من أين استمد الحسن معانيه ؟ أدلِّل على ما أقول.

٨ - تتميز هذه الخطبة بالوضوح التام. أعلل ذلك.

٢ ـ الكتابة الفنيَّة في العصر الأموي

كانت الكتابة الفنية في العصر الإسلامي وفي معظم العصر الأموي ارتجاليَّة غير مرسومة الأصول ولا محدَّدة المعالم، إلى أن وضع أصولها وقواعدها عبدالحميد بن يحيى الكاتب ـ رحمه الله ـ ويعتبر بحق منشئ الكتابة العربية، ومؤسس بنائها، حتى لقد قال النقاد : « بدئت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد ».

ولهذا سوف نعرض ترجمة مفصّلة لعبد الحميد، مع نماذج من أدبه الرفيع، لنتعرف من خلالها على الخصائص العامة لأسلوبه التي هي نفسها خصائص الكتابة الفنية في هذا العصر.

عبدالحميد بن يحيى الكاتب

نشأته وحياته :

عبدالحميد بن يحيى الكاتب ولد حوالي سنة ٦٠ للهجرة في مدينة الأنبار على نهر الفرات، وقد اشتغل في مستهل حياته معلِّمًا للصبيان، ثم اتَّصل بسالم بن عبدالله كاتب هشام بن عبدالملك فأُعجب به سالم، وأصهر إليه، فتزوج شقيقته، وقرّبه وقدّمه فعرفه الخلفاء، ثم أصبح كاتب مروان بن محمد أيام كان وليًّا للعهد، ولما تولّى مروان الخلافة أصبح عبدالحميد شيخ الكُتاب في عصره.

ثم لما قامت الدعوة العباسية وزحفت جيوش العباسيين وهُزِم مروان بن محمد في معركة الزَّاب، فرَّ هو وكاتبه، وبعض المقربين منه إلى مصر، وهناك تعرَّضوا لآلام ومصائب حتى قتل مروان وكاتبه في بوصير، وسُدِل الستار على الدولة الأموية سنة ١٣٢ للهجرة.

صفاته :

كان عبدالحميد ـ رحمه الله ـ على جانب من الأخلاق الفاضلة، وكان ورعًا تقيًّا مشهودًا له بالعفاف والاستقامة.

ومن أبرز صفاته الوفاء للصداقة، ومن أمثلة وفائه أن مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين قال له : يا عبدالحميد إنك رجلٌ صاحب صناعة تحتاجها الدول في كل زمان، وأرى أن تتحوَّل إلى بني العباس عسى أن تبلغ بكتابتك لهم منزلة قد تنفعني في حياتي وتنفع ذريتي بعد مماتي. وهنا أطرق عبدالحميد، ثم رفع رأسه وقال : إن هذا الرأي الذي رأيتَ هو أحسن الرأيين لك وأقبحهما لي، ثم أنشد :

أســـرُّ وفـــاءً ثــم أُظْــهــرُ غــدرةً   فمن لي بعذرٍ يوسع الناس ظاهرهْ

ولم يَزَلْ على وفائه للخليفة حتى قُتِل معه، كما أسلفنا.

ومن صفات عبدالحميد إخلاصه في عمله، وإخلاصه أيضًا لكلِّ من يحترف حرفة الكتابة، فقد كان يعلم يقينًا مدى أهمية الكتابة في حياة الأفراد والجماعات، ويعرف أن الكتَّاب ذوو أثر بالغ في أخلاق الناس، ويبدو أن الكتّاب كانوا يُقَدِّرون لعبد الحميد عواطف الإخلاص والوفاء، فقد رُوِي أن عبدالله بن المقفع حاول يومًا أن يفديه بنفسه، وتروي كتب التاريخ أن جنود بني العباس اقتحموا البيت الذي فيه عبدالحميد فوجدوه هو وعبدالله بن المقفع، فسألوهما من منكما عبدالحميد؟ فجعل كلٌّ منهما يقول: أنا هو وأخيرًا تقدم عبدالحميد وأثبت لهم بالشواهد والأدلة أنه هو فأخذ وقتل.

ومن صفات عبدالحميد التي تحلّى بها أنه كان واسع الثقافة في العلوم الإسلامية والعربية، عميق الفهم للقرآن الكريم، وكان إلى ذلك بعيد النظر في شؤون السياسة والحكم. كما كان على خبرة ممتازة بوسائل تربية الأبناء وولاة العهود.

مصادر ثقافته:

يمكن تلخيص المصادر التي استقى منها عبدالحميد ثقافته وأدبه فيما يلي:

١ ـ اطلاعه على الآداب العربية وبخاصة خطب علي رضي الله عنه.

٢ ـ ثقافته الفارسية حيث كان عبدالحميد فارسيَّ الأصل يجيد لغة قومه ويلمُّ بالأدب الفارسي، ويعرف عادات أدباء الفرس من ميل إلى التفخيم، والإطناب وتخيّر العبارات.

٣ ـ مخالطته للعلماء الفضلاء من العرب، لأنه قضى مرحلة صباه في الكوفة التي كانت في ذلك الحين مركزًا من مراكز الثقافة والأدب.

٤ ـ اتصاله بالخلفاء وسع من آفاقه وجعله يطلع على أحوال الناس وتجاربهم، وعندما علا شأنه عند الخلفاء أتيحت له فرصة التدرب والمران على أنواع مختلفة من الرسائل في شتَّى شؤون الدولة.

نماذج من رسائله :

١ ـ من رسالة عبدالحميد إلى زملائه الكُتَّاب :

كتب عبدالحميد هذه الرسالة يرسم للكُتّاب منهاج الفضائل التي تَليق بمركزهم في توجه أخلاق المجتمع، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

«أمَّا بَعْدُ، حَفظَكُمُ اللّهُ يَا أهْلَ صِنَاعَةِ الكِتَابَةِ، وَحَاطَكُمْ ووَفَّقَكُمْ وأرْشَدَكُمْ. لَقَدْ جَعَلَكُم اللّهُ يَا مَعْشَرَ الكُتَّابِ في أشْرَفِ الجِهَاتِ، أهْلَ الأدَبِ والمُروءاتِ والعِلْمِ والرَّزَانَةِ، بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلافَةِ مَحَاسِنُهَا، وتَسْتَقِيمُ أمُورُهَا، وبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ، ويُعَمِّرُ بُلْدَانَهُمْ لاَ يَسْتَغْنِي المُلْكُ عَنْكُمْ، ولاَ يُوجَدُ كَافٍ إلاَّ مِنْكُمْ.

وَلَيْسَ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الصِّنَاعَاتِ كلِّهَا أحْوَجَ إلَى اجْتِمَاعِ خِلاَلِ الخَيْرِ مِنْكُمْ، فَإنَّ الكَاتِبَ يَحْتَاجُ أنْ يَكُونَ حَلِيمًا في مَوْضِعِ الحِلْمِ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الفَهْمِ، مِقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الإقْدَامِ، مِحْجَامًا في مَوضِعِ الإحْجَامِ، لَيِّنًا في مَوْضِعِ اللِّينِ، شَدِيْدًا فِي مَوضِعِ الشِّدَّةِ، مُؤْثِرًا للعَفَافِ، والعَدْلِ والإِنْصَافِ، كَتُومًا للأسْرَارِ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائدِ.

فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الكُتَّابِ في صُنُوفِ الآدابِ، وَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ، وابْدَؤوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللّه عَزَّ وجَلَّ والفَرَائِضِ، ثُمَّ العَرَبِيَّةِ فَإنَّها ثِقَافُ[١] ألْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ أجِيدُوا الخَطَّ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ، وارْوُوا الأشْعَارَ واعْرِفُوا غَرِيبَهَا ومَعَانِيَهَا، وأيَّامَ العَرَبِ والعَجَمِ وأحَادِيثَهَا وَسِيَرَهَا، فَإنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إلَيْهِ هِمَمُكُمْ، ولا تُضَيِّعُوا النَظَرَ في الحِسَابِ، فَإِنَّهُ قِوَامُ[٢] كُتَّابِ الخَرَاجِ.

---

(١) ثقاف : مُقَوِّم. (٢) قوام : عماد.

ونزِّهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ السِّعَايَةِ والنَّمِيمَةِ، ومَا فِيهِ أهْلُ الدَّنَاءةِ والجَهَالَةِ، وإيَّاكُمْ والكِبْرَ والسُّخْفَ والعَظَمَةَ، وتَحَابُّوا في اللَّهِ عَزَّ وجلَّ في صِنَاعَتِكُمْ، وَتَواصَلُوا عَلَيْهَا، فإنَّهَا شِيمَةُ أهْلِ الفَضْلِ. وإذا وَلِّي الرَّجُلُ مِنْكُمْ، فَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ، ولْيُؤْثِرْ طَاعَتَه، وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيْقًا، ولِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا، فإنَّ الخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ، وأحَبُّهُمْ إلَيْهِ أرْفَقُهُمْ بِعِيَالِه.

تَوَلَّانَا اللَّهُ وإيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ والكَتَبَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ السُّعَدَاءَ، فإنَّ ذَلِكَ إلَيْهِ وَبِيَدِهِ.

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

التعليق:

اشتمل هذا النص على الأفكار الرئيسة الآتية :

١ ـ مكانة الكتَّاب العظيمة في المجتمع.

٢ ـ العلوم التي يجب أن يتحلَّى بها الكاتب ليتبوأ منزلة محترمة.

٣ ـ الفضائل التي يجب أن يتحلى بها الكاتب ليكسب سعادة الدارين.

وإذا كان عبدالحميد يوصي بكلِّ هذه الفضائل- فلا بد من أنه كان على قسط وافر منها؛لأن الإناء ينضح بما فيه.

وأسلوبُ عبدالحميد في هذه الرسالة مثالٌ للأصالة الصافية التي لا يشوبها التكلُّف، فهو يهتم بالمعاني، ولا يُغفِلُ جمال الألفاظ، وتتجلّى في كلامه الثقافة الإسلامية كما ترى في روايته للحديث الشريف «الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله».

وتتميز هذه الرسالة أيضًا بحسن الصياغة، وخلوِّها من الغرابة والتعقيد، إضافة إلى أنها متماسكة الأجزاء تشكل كلاًّ لا يتجزأ.

٢ ـ رسالته إلى أهله :

هذه الرسالة كتبها عبدالحميد إلى أهله أثناء وجوده في مصر عندما فرّ هو وآخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، بعد هزيمة مروان أمام جيوش العباسيين وفيها يعاني الكاتب آلام الغربة ومصائب الزمان.

«أمَّا بَعْدُ، فإنَّ اللَّه تَعالَى جَعَلَ الدُّنْيا مَحْفُوفَةً بالكُرْه والشُّرُور، فَمَنْ ساعَدَهُ الحَظُّ فِيْها سَكَنَ إلَيْها[١]، وَمَنْ عَضَّتْهُ ذَمَّها ساخِطًا علَيْها، وَشَكاها مُسْتَزِيدًا لها[٢].

وَقَدْ كانَتْ أذاقَتْنا أفاوِيقَ[٣] اسْتَحْلَيْناها، ثُمَّ جَمَحَتْ بِنا نافِرَة، ورَمَحَتْنا[٤] مُوَلِّية، فَمَلُحَ عَذْبُها، وخَشُنَ لِيِّنُها، فَأبْعَدَتْنا عَنِ الأوْطان، وَفَرَّقَتْنا عَنِ الإخْوان، فالدَّارُ نازِحَة[٥]، والطَّيْرُ بارِحَة[٦].

وَقَدْ كَتَبْتُ والأيَّامُ تَزِيدُنا مِنكُمْ بُعْدًا وإلَيْكُمْ وجْدًا، فإنْ تَتِمَّ البَلِيَّةُ إلى أقْصى مُدَّتِها يَكُنْ آخِرُ العَهْدِ بِكُمْ وَبِنا، وإنْ يَلْحَقْنا ظُفْرٌ جارِحٌ مِنْ أظْفارِ مَنْ يَلِيكُمْ[٧] نَرْجِعْ إلَيْكُمْ بِذُلِّ الإسار، والذُّلُّ شَرُّ جار.

نَسْألُ اللَّهَ الذي يُعِزُّ مَنْ يَشاء، ويُذِلُّ مَنْ يَشاء، أنْ يَهَبَ لَنا ولَكُمْ أُلْفَةً جامِعَة، في دارٍ آمِنَة، تَجْمَعُ سَلامَةَ الأبْدانِ والأدْيان، فإنَّهُ رَبُّ العالَمين وأرْحَمُ الرَّاحِمين».

---

(١) سكن إليها : أمنها واطمأن إليها.

(٢) مستزيداً لها : طالبًا منها الزيادة من أمر الخير.

(٣) أفاويق : يقصد حليبًا.

(٤) رمحتنا : رفستنا.

(٥) نازحة : نائية.

(٦) بارحة : مارة نحو اليسار كناية عن الشؤم وهو ما نهى عنه الإسلام من التطير.

(٧) ظفر جارح ممن يليكم : قطعة من الجيش العباسي الذي عندكم.

التعليــق :

اشتمل النص على الأفكار التالية :

١ ـ أن الدنيا دار ألم وسرور، يطمئن إليها من تقبل عليه بسرورها، ويَتَذَمَّر منها من تسوق إليه مصائبها.

٢ ـ تنكُّر الأيام لعبد الحميد بعد أن كانت جميلة سعيدة.

٣ ـ احتمال أمر من اثنين بالنسبة لعبدالحميد : إما موتٌ في الغربة وفراق إلى الأبد، وإما عودة ذلٍّ وإسار إذا لحق به الجيش العباسي.

٤ ـ دعوات إلى الله تعالى أن يجمع الشمل ويصلح أمر الدنيا والدين.

وعندما ننظر في هذه الرسالة نجد أنها تنبضُ بعاطفة صادقة حارَّة، يحركها شوقه إلى أهله، وحنينه إلى موطنه، بما دعاه إلى أن يصوغ هذه الرسالة بأسلوب عذب، غاية في الرقة والسهولة، يتميز بقصر الجمل وتوازنها، إلى جانب السجع العفوي الجميل.

وقد لجأ عبدالحميد إلى استخدام بعض الصور الخيالية الجميلة، كتشبيهه الدنيا مرة بالسبع ومرة بالناقة، وكتشبيهه الكتيبة من الجيش بالظفر الجارح، وكالكناية التي تدلُّ على التشاؤم في قوله : « والطير بارحة ».

الخصائص الفنية لأسلوب عبدالحميد :

إذا ذكرنا الكتابة الفنية في العصر الأموي فنحن نعني الكتابة التي اخْتَطَّ منهجها وطريقتها عبدالحميد الكاتب وقد تميزت الكتابة على يده بالخصائص الآتية :

١ ـ استهلال الرسائل باسم الله وبحمده وتمجيده، والصلاة على نبيه الكريم.

٢ ـ تزيين الرسالة بحلْية من آيات القرآن الكريم والاقتباس من أسلوب القرآن وما فيه من روائع المعاني والصور.

٣ ـ إطالة عبدالحميد الرسائل إطالة لم تكن معهودة من قبل، ولذلك قال نقاد الأدب عنه : إنه أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات.

٤ ـ عُني عبدالحميد بتجويد العبارة وتفخيمها والاعتماد على السجع في غير تكلّف، وعلى حُسن تقسيم الجمل وتوازنها وترادف عباراتها.

٥ ـ ظهرت في الكتابة بدايات من آثار الثقافة الفارسية، ولكن الطابع العام للكتابة في العصر الأموي ظلّ طابعًا عربيًّا.

٦ ـ معاني عبدالحميد متسلسلة ومترابطة تسير في نسق منطقي.

وهذه الخصائص تكوّن فنًّا ومستوى في الكتابة ممتازًا، مما جعل الشعراء يضربون الأمثال ببلاغة عبدالحميد. كما جاء في مدح البحتري لمحمد بن عبدالملك الزيات، إذ يقول :

وتفنّنْتَ في البلاغةِ حتّى ... عطَّلَ الناسُ فنَّ عبدِ الحميدِ

وتداول النقاد قولاً مأثورًا في النقد، سبق أن ذكرناه، وهو قولهم : «بُدِئت الكتابة بعبدالحميد، وانتهت بابن العميد» .

المناقشة :

١ ـ عبدالحميد الكاتب هو الذي أنشأ الكتابة العربية ووضع أصولها وقواعدها، أُعرِّفُ بنشأته وصفاته ، ومن أين استقى ثقافته وأدبه .

٢ ـ تعتبر الرسالة التي بعث بها عبدالحميد إلى زملائه الكُتَّاب من الرسائل الفريدة في الكتابة العربية، فما الأفكار الرئيسة التي اشتملت عليها هذه الرسالة ؟ وما سمات أسلوب هذه الرسالة ؟

٣ ـ كتب عبدالحميد الكاتب رسالة إلى أهله وهو في مصر، فما الأفكار الرئيسة التي اشتملت عليها هذه الرسالة ؟

٤ ـ أصف شعور الكاتب في الغربة ؟ (أجيب من خلال توضيح عاطفته في الرسالة السابقة).

٥ ـ في هذه الرسالة على قصرها مجموعة رائعة من الصور الخيالية. أستخرجها وأوضح جمالها.

٦ ـ ما خصائص الكتابة الفنية في العصر الأموي ؟

الواجبات المنزلية التي كلف بها الطالب والطالبة

تاريخ إعطاء الواجب	موضوع الواجب	رقم الصفحة	إحضار الواجب		الدرجة	ملاحظات
			اليوم	التاريخ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		